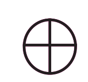




والتسليم لما قَدَرَ اللّهُ وقَضىَ




١



اسم الكتاب: **جنة الرضا والتسليم لما قدر الله وقضى**

إعداد الشيخ : فيصل الحاشدي

رقم الإيداع: ١٦٧٥٠/ ٢٠١٧.

نوع الطباعة: لون واحد.

عدد الصفحات: ١٦٠.

القياس: ١٧×٢٤.

تجهيزات فنية:

مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية

أعمال فنية وتصميم الغلاف أ / يسري حسن.

٢٠١٧



الإدارة

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.

تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات

دار القمة

١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.

تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

E-mail dar_aleman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة

أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة

مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار

جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥









والتسليم لما قَدَّرَ اللهُ وقَضَى

تأليف

أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي

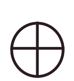
عفا الله عنه











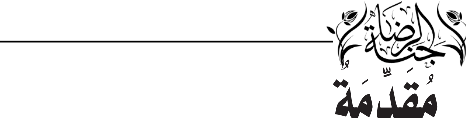




٤




مُقَدِّمَة



اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ اَلْعَالَمِينَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلىٰ أَشْرَفِ اَلْمُرْسَلِينَ ، وَعَلىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينْ .

أَمَّا بُعْدُ :

فَأَقُولُ مُسْتَعِينًا بِاللهِ مُتَوَكِّلاً عَلَيْهِ طَالبًا رِضَاهُ .

وَأَسْتَعِيْنُهُ عَلَىٰ نَيْلِ الرِّضَا وَأَسْتَمِدُّ لُطْفَهُ فِيْمَا قَضىٰ

فَهَذِهِ رِسَالَةٌ أَلْقَتْ بِعَصَاهَا ، وَحَذَفَتْ بِحَصَاهَا حِيْنَ اشْتَدَّ الْبَلَاءُ بِالأُمَّةِ وَضَعُفَ الصَّبْرُ وَقَلَّ الرِّضَا ، بَلْ كَادَ أَنْ يَنْدَرِسَ رَسْمُهُ عِنْدَ مَنْ اعْتَاضَ بِالسَّافِيَةِ (١) ، عَنِ الشَّحْوَاءِ (٢) .

فَإِذَا فَتَّشْتَهُ عَنْ غُصْـنٍ مِنْ أَغْصَانِ هَذَا العِلْمِ حَكَّ رَأْسَهُ ، فَجَمَحَ (٣) القَلَمُ بِيَـدِيْ، وَهَزَّ عَضُدِي فَكَانَـتْ هَذِهِ الرِّسَالَـةُ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْكَ وَسَمَّيْتُهَا :

« **جَنَّةُ الرِّضَا وَالتَّسْلِيْمِ لِمَا قَدَّرَ اللهُ وَقَضَى** » (٤) .

---

(١) السَّافِيَةُ : الرِّيْحُ الْمُتْرِبَةُ .

(٢) الشَّحْوَاءُ : البِئْرُ الوَاسِعَةُ غَرِيْزَةُ الْمَاءِ .

(٣) جَمَحَ : مَضَىٰ لِوَجْهِهِ ، وَكُلُّ شَيءٍ مَضَىٰ لِوَجْهِهِ عَلَىٰ أَمْرٍ فَقَدْ جَمَحَ .

(٤) أُذَكِّرُ القَارِئَ الكَرِيْمَ أَنَّهُ يُوجَدُ كِتَابٌ بِهَذَا الاَسْمِ لِلقَاضِي الوَزِيْرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَاصِمٍ الغَرْنَاطِي الْمُتَوَفَّىٰ سَنَةَ ٨٥٧هـ .

عَسَىٰ أَنْ تَأْخُذَ بِأَيْدِيْ إِخْوَانِي إِلَىٰ أَفْنَانِ هَذَا العِلْمِ وَدَوْحَتِهِ فَيَجِدُونَ فِيْهَا مَا يَشْفِي العِلَّةَ ، وَيُروي الغُلَّةَ ، فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَرَمْيَةٌ مِنْ غَيْرِ رَامٍ ، وَإِنْ أَخْطَأْتُ فَمَا عَلَىٰ عَرَجٍ مِنْ حَرَجٍ ، وَلَيْسَ الرِّيُّ عَنِ التَّشَافِّ [١]، وَقَدْ يَرْتَوي الظَّمْآنُ بالارْتِشَافِ [٢].

وَأَسْأَلُ مِنَ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أَنْ يَتَقَبَّلَهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ، فَلَهُ الحَمْدُ فِي الأُوْلَىٰ والأُخْرَىٰ .

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ

وَكَتَبَهُ

أَبِي عَبْدِ اللهِ فَيْصَل بْن عَبْدُه قَائِد الحَاشِدِيّ

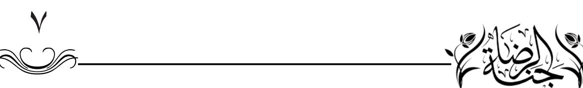
عَفَا اللهُ عَنْهُ

(١) لَيْسَ الرِّيُّ عَنِ التَّشَافِّ: أَيْ لَيْسَ الرِّيُّ عَنْ أَنْ يَشْتَفَّ الإِنْسَانُ مَا فِي الإِنَاءِ ، بَلْ قَدْ يَحْصُلُ بِدُونَ ذَلِكَ يُضْرَبُ فِي النَّهْيِ عَنْ اسْتِقْصَاءِ الأَمْرِ والتَّمَادِي فِيْهِ » . أُنْظُرْ : «العُبَابُ الزَّاخِرُ» (٤٤٨) .

(٢) الارْتِشَافُ: ارْتَشَفَهُ ، أَيْ : امْتَصَّهُ .

٦







البَابُ الأَوَّلُ
تَعْرِيْفُ الرِّضَا وَحُكْمِهِ

الفَصْلُ الأَوَّلُ : تَعْرِيْفُ الرِّضَا .

الفَصْلُ الثَّانِي : أَقْسَامُ الرِّضَا .

وَتَحْتَهُ مَبْحَثَان :

المَبْحَثُ الأَوَّلُ : الرِّضَا بِاللهِ .

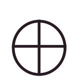
المَبْحَثُ الثَّانِي : الرِّضَا عَنِ اللهِ .

الفَصْلُ الثَّالِثُ : الفَرْقُ بَيْنَ الصَّبْرُ الرِّضَا .

الفَصْلُ الرَّابِعُ : حُكْمُ الرِّضَا بِالقَضَاءِ .





٨







الفَصْلُ الأَوَّلُ

تَعْرِيـفُ الرِّضَـا

الرِّضَا فِي اللُّغَةِ :

ضِدَّ السَّخَطِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ** » [١] .

وَفِي الاصْطِلاحِ :

الرِّضَا هُوَ : طِيْبُ النَّفْسِ بِمَا يُصِيْبُهُ وَيَفُوْتُهُ مَعَ عَدَمِ ا لتَّغَيُّرِ .

وَقِيْلَ : سُرُورُ القَلْبِ بِمَرِّ القَضَاءِ [٢] .

وَقِيْلَ - أَيْضًا - فِي تَعْرِيْفِ الرِّضَا : هُو ارْتِفَاعُ الجَزَعِ فِي أَيِّ حُكْمٍ كَانَ، وَقِيْلَ فِي عِبَارَةٍ مُوجَزَةٍ : هُوَ رَفْعُ الاخْتِيَارِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : هُوَ اسْتِقْبَالُ الأَحْكَامِ بِالفَرَحِ ، وَقَالَ الحَارِثُ المُحَاسَبِيُّ: سُكُونُ القَلْبِ تَحْتَ مَجَارِي الأَحْكَامِ.

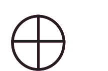
وَقِيْلَ : نَظَرُ القَلْبِ إِلَىٰ قَدِيْمِ اخْتِيَارِ اللهِ لِلعَبْدِ ، وَهُوَ تَرْكُ السَّخَطِ» [٣] .

---

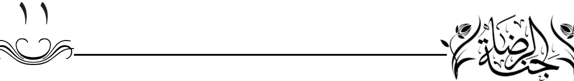
(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٤٨٦) .

(٢) «التَّعَارِيْفُ» (١/ ٣٣٦) .

(٣) انْظُرْ هَذِهِ التَّعَارِيْف فِي « مَدَارِج السَّالِكِيْـن » (٢/ ١٧٧) .




١٠

الفَصْلُ الثَّاني
أَقْسَامُ الرِّضَـا

الرِّضَا قِسْمَانِ:

١ - الرِّضَا باللّه :

وَهُوَ أَنْ تَرضَىٰ بِهِ رَبًّا وَخَالِقًا مُدَبِّرًا مُهَيْمنًا عَلَىٰ خَلْقِهِ ، وَكُلُّهُمْ تَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانه لاَ يُنَازِعُهُ أَحَدٌ في أَمْرِهِ ، يَحْكُمُ عَلَىٰ الخَلْق ولاَ يَحْكُمُون عَلَيْهِ، وَأَنْ تُسَلِّمَ لَهُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ لاَ تَجِدَ في نَفْسكَ حَرَجًا في التَّسْلِيْم وَالرِّضَا باللهِ حَاكِمًا وَرَبًّا وَخَالِقًا مُدَبِّرًا لِأَمْرِهِ وَمُصَرِّفًا لِخَلْقِهِ يَحْكُمُ مَا يَشَاءُ وَيَفْعَلُ مَا يُرِيْدُ -سُبْحَانَهُ جَلَّ شَأْنُهُ - .

وقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىاللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **ذَاقَ طَعْمَ الإِيْمَانِ مَنْ رَضيَ بِاللهِ رَبًّا وَبِالإِسْلاَمِ دِيْنًا ، وَبِمُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَسُولاً** »[(١)] .

قَالَ النَّوَوِيُّ : قَالَ صَاحِبُ التَّحْرِيْرِ -رَحِمَهُ اللّه - :

« مَعْنَىٰ رَضِيْتُ بالشَّيْءِ قَنَعْتُ بِهِ وَاكْتَفَيْتُ بِهِ ، وَلَمْ أَطْلُبْ مَعَهُ غَيْرَهُ . فَمَعْنَىٰ الحَدِيْثِ لَمْ يَطْلُبْ غَيْرَ اللهِ تَعَالَى،وَلَمْ يَسْعَ فِي غَيْرِ طَرِيْقِ الإِسْلاَمِ، وَلَمْ

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣٤ - ٥٦) عَنِ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.


١١

يَسْلُكْ إِلَّا مَا يُوَافِقُ شَرِيْعَةَ مُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،وَلاَ شَكَّ فِي أَنَّ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتَهُ فَقَدْ خَلَصَتْ حَلاَوَةُ الإِيْمَانِ إِلَىٰ قَلْبِه،وَذَاقَ طَعْمَهُ»[1].

وَهَذَا مِنْ لَوَازِمِ الرِّضَا عَنِ اللهِ ، فَالرِّضَا بِاللهِ يَقُودُ إِلَىٰ الرِّضَا عَنِ اللهِ ، وَالرِّضَا عَنِ اللهِ ثَمَرَةٌ مِنْ ثَمَرَاتِ الرِّضَا بِاللهِ .

٢- الرِّضَا عَنِ اللهِ :

وَالرِّضَا عَنِ اللهِ بِكُلِّ مَا قَدَّرَ اللهُ وَقَضَىٰ وَعَدَمُ التَّسَخُّطِ عَلَىٰ مَرِّ القَضَا عَلَيْكَ مِنَ الحَوَادِثِ وَالأَقْدَارِ كُلِّهَا خَيْرِهَا وَشَرِّهَا ، وَأَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيْبَكَ ، وَأَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الأَمْرُ وَبِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ، وأَنَّهُ أَرْحَمُ بِكَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَأَعْلَمُ بِكَ مِنْ نَفْسِكَ، وَأَنَّ مَا أَصَابَكَ مِنْ مُصِيْبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ يَدَاكَ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيْرٍ ، وَأَنَّكَ عَبْدٌ مَمْلُوكٌ لَهُ تَحْتَ أَمْرِهِ وَقَهْرِهِ وَقُدْرَتِهِ وَمَشِيْئَتِهِ وَأَنَّهُ لاَ يَحْدُثُ شَيْءٌ فِي الكَوْنِ إِلَّا بِتَدْبِيْرِهِ وَتَصْرِيْفِهِ .

فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ لَهُ : « **وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيْبَكَ ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ**»[2] .

---

(١) « شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَىٰ مُسْلِمٍ » (١/ ١١١) .

(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ(١/ ٢٩٣)،والتِّرْمِذِيُّ (٩/ ٣١٩-٣٢٠)صِفَةُ القِيَامَةِ ،وَقَالَ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ وَإِسْنَادُهُ وَاهٍ جِدًا .

قَالَ اللهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التَّغَابُنُ :١١] ، يَعْنِي : أَنَّ مَنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَعَلِمَ أَنَّهَا بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ ، فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ ، واسْتَسْلَمَ لِقَضَاءِ اللهِ ، هَدَىٰ اللهُ قَلْبَهُ ، وَعَوَّضَهُ عَمَّا فَاتَهُ مِنَ الدُّنْيَا هُدَىً فِي قَلْبِهِ وَيَقِينًا صَادِقًا ، وَقَدْ يُخْلِفُ عَلَيْهِ مَا كَانَ أُخِذَ مِنْهُ ، أَوْ خَيْرًا مِنْهُ .

وَرَوَى الإِمَامُ ابْنِ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللّٰهُ- :

عَنْ ابْنِ عَبَّاس –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – أَنَّ قَالَ فِي قَوْلِهِ – تَعَالَىٰ –: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ ﴾ يَعْنِي : يَهْدِ قَلْبَهُ لِليَقِيْنِ ، فَيَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيْبَهُ [١] .

يَقُولُ ابْنُ دَقِيقِ العِيدِ - رَحِمَهُ اللّٰهُ- :

« هَذَا هُوَ الإِيْمَانُ بِالقَدَرِ ، والإِيْمَانُ بِهِ وَاجِبٌ ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، وَإِذَا تَيَقَّنَ المُؤْمِنُ هَذَا ، فَمَا فَائِدَةُ سُؤَالِ غَيْرِ اللهِ والاسْتِعَانَةِ بِهِ » [٢] .



(١) تَفْسِيرُ ابْنُ كَثِيرٍ (٨/ ٨٨).
(٢) « شَرْحُ الأَرْبَعِيْنَ حَدِيْثًا » (ص٥٥) .





١٤





الفَصْلُ الثَّالِثُ

الفَرْقُ بَيْنَ الصَّبْرِ وَالرِّضَا

الفَرْقُ بَيْنَ الرِّضَا وَالصَّبْرِ ، أَنَّ الصَّبْرَ حَبْسُ النَّفْسِ وَكَفُّهَا عَنِ السَّخْطِ مَعَ وُجُودِ الألَمِ وَتَمَنَّىٰ زَوَالِهِ ، وَكَفُّ الجَوَارِحِ عَنِ العَمَلِ بِمُقْتَضَىٰ الجَزَعِ، وَالرِّضَا يُوفِّق الصَّبْرَ فِي حَبْسِ النَّفْسِ وَكَفِّ الجَوَارِحِ ، وَيَزِيْدُ عَلَيْهِ عَدَمُ تَمَنِّي زَوَالِ الأَلَمِ ، فَفَرِحَ العَبْدِ بالثَّوَابِ وَحُبُّهُ للهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَانْشِرَاحِ صَدْرِهِ بِقَضَائِهِ لَا يَتَمَنَّىٰ زَوَالَ الأَلَمِ .

وَالصَّبْرُ وَاجِبٌ لاَبُدَّ مِنْهُ لِلمُؤْمِن ، وَالرِّضَا مُسْتَحَبٌّ عِنْدَ العُلَمَاءِ وَالوُجُوب فِيْهِ خِلَافٌ بَيْنَهُمْ ، وَاخْتَارَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ وابْن القَيِّمِ -رَحِمَهُمَا اللهُ- عَدَمُ الوُجُوب.

وَأَعْلَىٰ مِنَ الرِّضَا الشُّكْرُ للهِ عَلَىٰ المُصِيْبَةِ ، لِكَوْنِهِ يَرَاهَا نِعْمَةً أَنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَيْهِ ، وَحَالُ الشَّاكِرِ أَعْلَىٰ الحَالَاتِ وَأَكْمَلُهَا فِي الفَضْلِ .



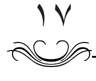


١٥




١٦





الفَصْلُ الرَّابِعُ
حُكْمُ الرِّضَا بِالقَضَاءِ

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللّهُ- :

« أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَىٰ أَنَّهُ مُسْتَحَبٌّ، مُؤَكَّدٌ اسْتِحْبَابُهُ، وَاخْتَلَفُوا فِي وُجُوبِهِ عَلَىٰ قَوْلَيْنِ.

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَةَ – قَدَّسَ اللهُ رَوْحَهُ – يَحْكِيهِمَا عَلَىٰ قَوْلَيْنِ لِأَصْحَابِ أَحْمَدَ ، وَكَانَ يَذْهَبُ إِلَىٰ الْقَوْلِ بِاسْتِحْبَابِهِ.

قَالَ: وَلَمْ يَجِئِ الْأَمْرُ بِهِ ، كَمَا جَاءَ الْأَمْرُ بِالصَّبْرِ، وَإِنَّمَا جَاءَ الثَّنَاءُ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ وَمَدْحُهُمْ [(١)].

وَيَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ :

١– حُكْمُ الرِّضَا بِالقَضَاءِ الَّذِي هُوَ فِعْلُهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– ، فَقَضَاءُ اللهِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– : هُوَ فِعْلٌ قَائِمٌ بِذَاتِ اللهِ –تَعَالَىٰ– ، فَالقَضَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ وَعَدْلٌ وَحِكْمَةٌ فَيَرْضَىٰ بِهِ كُلَّه .

٢– حُكْمُ الرِّضَا بِالمَقْضِيِّ وَبَيَانُ أَنْوَاعِهِ وَتَفْصِيلُ مَذَاهِبِ النَّاسِ فِي

(١) « مَدَارِجُ السَّالِكِيْـنَ » (٢/ ١٧٠) .



ذَلِكَ: هَذَا البَابُ مِنْ تَمَامِ الإِيمَانِ بِالقَضَاءِ والقَدَرِ ، وَقَدْ تَنَازَعَ النَّاسُ [فِيْهِ] هَلْ هُوَ وَاجِبٌ أَوْ مُسْتَحَبٌّ ؟، عَلَىٰ قَوْلَيْنِ : وَهُمَا وَجْهَانِ لِلإِمَامِ أَحْمَدَ :

١ - القَوْلُ الأَوَّلُ : قَالُوا بِوُجُوبِهِ ، وَاحْتَجُّوا عَلَىٰ وُجُوبِهِ بِأَنَّهُ مِنْ لَوَازِمِ الرِّضَا بِاللهِ رَبًّا ، وَاحْتَجُّوا بِأَثَرٍ إِسْرَائِيلِيٍّ : « **مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي ، وَمَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَىٰ بَلَائِي ، فَلْيَتَّخِذْ لَهُ رَبًّا سِوَايَ** » [(١)] .

٢ - القَوْلُ الثَّانِي : قَالُوا بِأَنَّهُ مُسْتَحَبٌّ غَيْرُ وَاجِب ، فَإِنَّ الإِيْجَابَ يَسْتَلْزِمُ دَلِيْلاً شَرْعِيًا وَلاَ دَلِيْلَ عَلَىٰ الوُجُوب ، وَهَذَا القَوْلُ الرَّاجِحُ ؛ فَإِنَّ الرِّضَا مِنْ مَقَامَاتِ الإِحْسَانِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَعْلَىٰ المَنْدُوبَاتِ .

وَغَلِطَ فِي هَذَا الأَصْلِ طَائِفَتَانِ أَقْبَحَ غَلَط :

١ – فَقَالَتْ القَدَرِيَّةُ النُّفَاةُ : الرِّضَا بِالقَضَاءِ طَاعَةٌ وَقُرْبَةٌ ، وَالرِّضَا بِالمَعَاصِي لاَ يَجُوزُ فَلَيْسَتْ بِقَضَائِه وَقَدَرِهِ .

٢– وَقَالَتْ غُلَاةُ الجَبْرِيَّةِ الَّذِيْنَ طَوَوْا بَسَاطَةَ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ : المَعَاصِي بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ وَالرِّضَا بِالقَضَاءِ قُرْبَةٌ وَطَاعَةٌ ، فَنَحْنُ نَرْضَىٰ بِهَا وَلاَ نَسْخَطُهَا .

٣– وَأَجَابَتْهُمْ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ : بِأَنَّ مِنَ القَضَاءِ مَا يُؤْمَرُ بِالرِّضَا بِهِ ، وَمِنْهُ مَا يُنْهَىٰ الرِّضَا بِهِ ، فَالقَضَاءُ الَّذِي يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ نَرْضَىٰ بِهِ ، وَالَّذِي

---

(١) (ضَعِيْفٌ) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ (٨٠٧) ، وَضَعْفَهُ الأَلْبَانِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ– فِي (ضَعِيْفِ الجَامِعِ) (٤٠٥٣) .



يَبْغَضُهُ وَيَسْخَطُهُ لاَ نَرْضَى بِهِ ، وَهَذَا كَمَا أَنَّ المَخْلُوقَاتِ مَا يَبْغَضُهُ وَيَسْخَطُهُ وَهُوَ خَالِقُهُ كَالأَعْيَانِ المَسْخُوطَةِ لَهُ ، وَهَذَا الكَلامُ فِي الأَفْعَالِ وَالأَقْوَالِ سَوَاءٌ ، وَهَذَا الجَوَابُ جَيِّدٌ غَيْرَ أَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَمَامٍ فَنَقُولُ : الحُكْمُ وَالقَضَاءُ نَوْعَانِ :

١ - دِيْنِيٌّ .

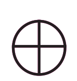
٢ - كَوْنِيٌّ .

فَالدِيْنِيُّ يَجِبُ الرِّضَا بِهِ وَهُو مِنْ لَوَازِمِ الإِسْلامِ ، والكَوْنِيُّ يَنْقَسِمُ إِلَىٰ نَوْعَيْنِ :

١ – مَا يَجِبُ الرِّضَا بِهِ ، كَالنِّعَمِ الَّتِي يَجِبُ شُكْرُهَا وَمِنْ تَمَامِ شُكْرِهَا الرِّضَا بِهَا .

٢ – مَا لاَ يَجُوزُ الرِّضَا بِهِ ، كَالمَعَايِبِ والذُّنُوبِ الَّتِي يَسْخَطُهَا اللهُ ، وإِنْ كَانَتْ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ [١] .

(١) أُنْظُرْ : « شِفَاءُ العَلِيْلِ فِي مَسَائِلِ القَضَاءِ والقَدَرِ والحِكْمَةِ والتَّعْلِيْلِ » لابْنِ القَيِّمِ –رَحِمَهُ اللهُ– (٢/ ٧٦١-٧٦٢) .

٢٠

البَابُ الثَّانيّ
الرِّضَا فِي الكِتَابِ والسُّنَّةَ وأَقْوالِ السَّلَفِ

الفَصْلُ الأَوَّلُ
الرِّضَا فِي القُرْآنِ الكَرِيْمِ

وَتَحْتَهُ سَبْعَةِ مَبَاحِث :

المَبْحَثُ الأَوَّلُ : ثَنَاءُ الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – عَلَىٰ أَهْلِ الرِّضَا .

المَبْحَثُ الثَّاني : الرِّضَا مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الإِيْمَان .

المَبْحَثُ الثَّالِثُ : رِضَا الله أَقْصَىٰ مَا يَتَمَنَّاهُ أَهْلِ الإِيْمَانِ .

المَبْحَثُ الرَّابِعُ : مَنْزِلَةُ الرِّضَا فَوْقَ جَنَّاتِ عَدَن.

المَبْحَثُ الخَامِسُ : الرِّضَا مِنْ أَسْبَابِ الهِدَايَةِ .

المَبْحَثُ السَّادِسُ : الرِّضَا سَبَبُ التَّسْلِيْم لِلحَقِّ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

المَبْحَثُ السَّابِعُ : الرِّضَا مِنْ أَسْبَابِ الرَّاحَةُ النَّفْسِيَّة .







الفَصْلُ الثَّاني
الرِّضَا فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ

وَتَحْتَهُ أَرْبَعَةُ مَبَاحِث :

المَبْحَثُ الأَوَّلُ : الرِّضَا يَذُوقُ مَعَهُ العَبْد طَعْمُ الإِيْمَانِ .

المَبْحَثُ الثَّانِي : الرِّضَا مِنْ وَصَايَا الرَّسُول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ : الرِّضَا بِمَا عِنْدَ اللهِ يَكْفِيْكَ مَا عِنْد النَّاس .

المَبْحَثُ الرَّابِعُ : الرِّضَا بِالقَلِيْل مِنْ الرِّزْقِ مِنْ أَسْبَابِ الفَلَاحِ .

الفَصْلُ الثَّالِثُ
مِنْ أَقْوَالِ السَّلَفِ فِي الرِّضَا










الفَصْلُ الأَوَّلُ
الرِّضَا في القُرْآنِ الكَرِيْمِ

١ - ثَنَاءُ اللّه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - عَلَى أَهْلِ الرِّضَا :

لَقَدْ أَثْنَىٰ المَوْلَىٰ - جَلَّ وَعَلاَ- عَلَىٰ أَهْلِ الرِّضَا فِي مَوَاطِنَ كَثِيْرَةٍ وَنَدَبَهُمْ إِلَيْهِ ، فَقَالَ- عَزَّ وَجَلَّ- : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التَّوْبَة : ١٠٠] ، وقَالَ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المُجَادَلَة : ٢٢] .

قَالَ ابْنُ القَيِّم -رَحِمَهُ اللّه- :

فَتَضَمَّنَتْ هَذِهِ الآيَاتُ : جَزَاءَهُمْ عَلَىٰ صِدْقِهِمْ وَإِيْمَانِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ الصَّالِحَةِ وَمُجَاهَدَةِ أَعْدَائِهِ وَعَدَمِ وِلاَيَتِهِمْ ، بِأَنَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فَأَرْضَاهُمْ فَرَضُوا عَنْهُ ، وَإِنَّمَا حَصَلَ لَهُمْ هَذَا بَعْدَ الرِّضَا بِهِ رَبًّا ، وَبِمُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَبِيًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا [(١)] .

---

(١) « مَدَارِجُ السَّالِكِيْنَ » (٢/ ١٨٧) .





٢- الرِّضَا مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الإِيمَانِ :

وَالرِّضَا مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الإِيْمَانِ ، فَهُمْ يَسْعَوْنَ لِنَيْلِ رِضَا رَبِّهِمْ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ يُقْدِمُونَ عَلَيْهِ ، قَالَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾[البَقَرَة : ٢٠٧] ، وقَالَ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحِۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النِّسَاءُ : ١١٤] .

٣- رِضَا اللّه أَقْصَى مَا يَتَمَنَّاهُ أَهْلِ الإِيمَانِ :

رِضَا اللهِ -جَلَّ وَعَلاَ - هُوَ أَقْصَىٰ مَا يَتَمَنَّاهُ أَهْلِ الإِيْمَانِ فَقَدْ قَالَ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - عَنْ سُلَيْمَانَ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - وَقَد أُعْطِيَ مِنَ المُلْكِ مَا أُعْطِيَ : ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾[النَّمل : ١٩] .

وَقَد قَالَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرَّحْمَن:٦٠] ، قَالَ أَحَدُ السَّلَفِ -رَحِمَهُ اللهُ- : وَمُنْتَهَىٰ الإِحْسَانِ رَضَا اللهِ عَنْ عَبْدِهِ وَهُوَ ثَوَابُ رِضَا العَبْدِ عَنِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- .

٤-مَنْزِلَةُ الرِّضَا فَوْقَ جَنَّاتِ عَدْنٍ :

وَ مَنْزِلَةُ الرِّضَا مَنْزِلَةٌ عَظِيْمَةٌ ، فَقَدْ رَفَعَ المَوْلَىٰ جَلَّ وَعَلا- مَنْزِلَةَ الرِّضَا

فوق جنَّات عدْنٍ فقال -سُبْحانَهُ وتعالى-: ﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التَّوْبَة:٧٢] ، فَفِي هَذِهِ الآيَاتِ رَفَعَ اللهُ الرِّضَا فَوْقَ جَنَّاتِ عَدْنٍ ، فرِضْوَانَ رَبِّ الجَنَّةِ أَعْلَىٰ مِنَ الجَنَّةِ بَلْ هُوَ غَايَةُ مَطْلَبِ سُكَّانِ الجِنَانِ - كَمَا قَالَ أَحَدُ السَّلَفِ .

ونُلاحِظُ هَنَا أَنَّ رِضْوَانَ نَكِرَةٌ ، والتَّنْكِيْرُ يَأْتِي جُمْلَةٍ مِنَ ا لمَعَانِي مِنْهَا التَّقْلِيْلُ فَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ قَلِيْلٌ خَيْرٌ مِنْ كُلِّ مَا فِي الجَنَّةِ مِنَ المَسَاكِنِ والأَنْهَارِ والحُوْرِ العِيْنِ وَغَيْرِهَا مِنَ النَّعِيْمِ المُقِيْم .

وَقَالَ -سُبْحَانَهُ -: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفَجْر:٢٨] . فَفِي هَذِهِ الآيَاتِ لَمَّا فَرَغَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَكَايَةِ أَحْوَالِ الأَشْقِيَاءِ ذَكَرَ بَعْضَ أَحْوَالِ السُّعَدَاءِ فَذَكَرَ النَّفْسَ المُطْمَئِنَّةَ وَهِيَ السَّاكِنَةُ المُوْقِنَةُ بالإِيْمَانِ وَتَوْحِيدِ اللهِ الوَاصِلَةُ إِلَىٰ ثَلْجِ اليَقِيْنِ بِحَيْثُ لَا يُخَالِطُهَا شَكٌّ، وَلاَ يَعْتَرِيْهَا رَيْبٌ ، يَقُولُ الحَسَنُ : ﴿ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ هِيَ المُؤْمِنَةُ المُوْقِنَةُ ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الرَّاضِيَةُ بِقَضَاءِ اللهِ الَّتِي عَلِمَتْ أَنَّ مَا أَخْطَأَهَا لَمْ يَكُنْ لِيُصِيْبَهَا ، وَأَنَّ مَا أَصَابَهَا لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهَا ، وَقِيْلَ : الآمِنَةُ المُطْمَئِنَّةُ ، وَقِيْلَ : غَيْرُ ذَلِكَ ، وَكُلُّهَا مَعَانٍ مُتَقَارِبَةٌ [١].

فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ أَيْ إِلَىٰ جِوَارِهِ وَثَوَابِهِ وَمَا أَعَدَّ لِعِبَادِهِ

(١) «فَتْحُ القَدِيْر» (٥/ ٦٢٥)، وانْظُرْ فِي تَفْسِيْرِ الآيَةِ تَفْسِيْرِ الطَّبَرِيّ (١٢/ ٥٨٠) ، وَتَفْسِيْرِ ابْنِ كَثِيْرٍ (٤/ ٦٥٧) ، وَتَفْسِيْرِ القُرْطُبِي (٢٠/ ٥٢).

فِي جَنَّتِهِ ﴿ رَاضِيَةً ﴾أَيْ فِي نَفْسِهَا ﴿ مَّرْضِيَّةً ﴾أَيْ قَدْ رَضِيَتْ عَنِ اللهِ وَرَضِيَ عَنْهَا .

وَهَذَا يُقَالُ لَهَا عِنْدَ الاحْتِضَارِ وَفِي يَوْمِ القِيَامَةِ أَيْضًا ، كَمَا أَنَّ المَلائِكَةَ يُبَشِّرُونَ المُؤْمِنَ عِنْدَ احْتِضَارِهِ وَعِنْدَ قِيَامِهِ مِنْ قَبْرِهِ (١) .

فَالمُرَادُ هُنَا : هُوَ حُصُولُ الرِّضَا لَهَا بِمَا حَصَلَ لَهَا مِنْ كَرَامَتِهِ وَبِمَا نَالَتْهُ عِنْدَ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ فَحَصَلَ لَهَا رِضَاهَا وَالرِّضَا عَنْهَا (٢) .

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- : « إِذَا تُوُفِّيَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ أَرْسَلَ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكَيْنِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِتُحْفَةٍ مِنَ الْجَنَّةِ ، فَيُقَالُ: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ، اخْرُجِي إِلَىٰ رُوحٍ وَرَيْحَانٍ ، وَرَبٍّ عَنْكِ رَاضٍ» (٣) .

٥- الرِّضَا مِنْ أَسْبَابِ الهِدَايَةِ :

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التَّغَابُن:١١] .

قَالَ عَلْقَمَةُ : هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ المُصِيبَةُ ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ قِبَلِ اللهِ فَيُسَلِّمُ لَهَا وَيَرْضَىٰ عَنِ اللهِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ أَيْ: وَمَنْ يُصَدِّقْ بِاللهِ وَبِتَوْحِيدِهِ يَهْدِ قَلْبَهُ إِلَىٰ الإِيْمَانِ وَيُوَفِّقْهُ إِلَىٰ الطَّرِيْقِ

(١) «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ» (٤/ ٦٥٧) .
(٢) « مَدَارِجُ السَّالِكِيْنَ » (٢/ ١٧٨) ، وَانْظُرْ هَذَا الأَثَرَ فِي تَفْسِيْرِ القُرْطُبِيِّ (٢٠/ ٥٢) عَنْ سَعِيْدِ بْنِ جُبَيْرٍ.
(٣) « المَصْدَرُ السَّابِقُ (٢/ ١٧٨) .

المُسْتَقِيم، فَيَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ يُصِيبُهُ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ فَيُسَلِّمُ لأَمْرِ اللهِ وَيَرْضَىٰ بِقَضَائِه .

قَالَ ابْنُ عَبَّاس –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–:« ﴿ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ لِلْيَقِينِ فَيَعْلَمُ أَنَّا كُلًّا مِنْ عِنْدَ اللهِ ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ ، وَمَا أَخْطَئَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ »[1].

٦- الرِّضَا سَبَبُ التَّسْلِيم لِلحَقِّ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا:

قَالَ اللهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النِّسَاءُ: ٦٥] .

يِقْسِمُ – تَعَالَىٰ – بِنَفْسِهِ الكَرِيْمَةِ المُقَدَّسَةِ إِنَّهُ لَاَ يُؤمِنُ أَحَدٌ حَتَّىٰ يُحَكِّمَ الرَّسُولَ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي جَمِيْعِ الأُمُورِ ، فَمَا حَكَمَ بِهِ فَهُوَ الحَقُّ الَّذِي يَجِبُ الانْقِيَادُ لَهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا،وَلِهَذَا قَالَ–تَعَالَى–: ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ أَيْ : إِذَا حَكَّمُوكَ يُطِيْعُونَكَ فِي بَوَاطِنِهِمْ فَلاَ يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا حَكَمْتَ بِهِ ، وَيَنْقَادُونَ لَهُ فِي الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ فَيُسَلِّمُونَ لِذَلِكَ تَسْلِيمًا كُلِّيًا مِنْ غَيْرِ مُمَانَعَةٍ وَلاَ مُرَافَعَةٍ وَلاَ مُنَازَعَةٍ [2].

٧- الرِّضَا مِنْ أَسْبَابِ الرَّاحَةِ النَّفْسِيَّةِ:

قَالَ اللهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ

(١) «الهِدَايَةُ إِلَـىٰ بُلُوغِ النِّهَايَةِ» (١٢/ ٧٥٠٨) .
(٢) «تَفْسِيـرُ ابْنِ كَثِيـرٍ » (٢/ ٧١٩) .

٢٧

أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد:٢٢-٢٣] .

أَيْ مَا أَصَابَكُمْ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ بِالجُدْبِ والقَحْطِ أَوْ الطُّوفَانِ أَوْ الجَوَائِحِ تُصِيبُ الزَّرْعَ ﴿ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ ﴾ بِالمَرَضِ وَفَقْدِ الوَلَدِ إِلَّا وَهِيَ فِي كِتَابٍ أَيْ فِي كِتَابِ المَقَادِيرِ، اللَّوْحِ المَحْفُوظِ مَكْتُوبَةٌ بِكَمِّيَّتِهَا وَكَيْفِيَّتِهَا وَزَمَانِهَا وَمَكَانِهَا ﴿ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ ﴾ أَيْ وَذَلِكَ قَبْلَ خَلْقِ اللهِ تَعَالَىٰ لَهَا وَإِيجَادِهَا ، وَقَوْلُهُ : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ أَيْ : عِلْمُهُ بِهَا وَكِتَابَتُهُ لَهَا قَبْلَ خَلْقِهَا وَإِيجَادِهَا فِي وَقْتِهَا سَهْلٌ عَلَىٰ اللهِ يَسِيرٌ .

وَقَوْلُهُ -تَعَالَىٰ- : ﴿ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ ﴾ أَيْ : أَعْلَمْنَاكُمْ بِذَلِكَ بَعْدَ قَضَائِنَا وَحُكْمِنَا بِهِ أَزَلاً مِنْ أَجْلِ أَلَّا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ مِمَّا تُحِبُّونَ فِي دُنْيَاكُمْ مِنَ الخَيْرِ ، وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ، فَرَحَ الأَشَرِ والبَطَرِ فَإِنَّهُ مُضِرٌّ ، أَمَّا فَرَحُ الشُّكْرِ فَلَا بَأْسَ بِهِ ، فَقَدْ يُنْعِمُ اللهُ عَلَىٰ العَبْدِ لِيَشْكُرَهُ .

وَقَوْلُهُ -تَعَالَىٰ- : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴾ أَيْ : يُحَذِّرُ أَوْلِيَاءَهُ مِنْ خَصْلَتَيْنِ ذَمِيمَتَيْنِ لَا تَنْبَغِيَانِ لِلمُؤْمِنِ ، وَهُمَا الاخْتِيَالُ أَيْ : التَّكَبُّرُ والفَخْرُ عَلَىٰ النَّاسِ بِمَا أَعْطَاهُ اللهُ وَحَرَمَهُمْ [١] .

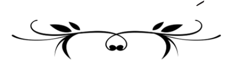
---

(١) « تَفْسِيرُ الجَزَائِرِيِّ » (٥/ ٢٧٥-٢٧٦) .






الفَصْلُ الثَّاني
الرِّضَا في السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ



١ - الرِّضَا يَذُوقُ مَعَهُ العَبْد طَعْمُ الإِيْمَان :

الرِّضَا يَذُوقُ مَعَهُ العَبْد طَعْمُ الإِيْمَانِ وَحلاَوَتَهُ ، وَهُوَ أَيْضًا علاَمَةٌ عَلَىٰ صِحْةِ الإِيْمَانِ وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ مَا جَاءَ عَنِ العَبَّاس بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰاللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَسُولًا** » [١] .

قَالَ القَاضِي عِيَاضٌ -رَحِمَهُ اللّهُ - :

« مَعْنَىٰ الحَدِيْثِ : صَحَّ إِيْمَانُهُ وَاطْمَأَنَّتْ بِهِ نَفْسُهُ وَخَامَرَ بَاطِنَهُ لِأَنَّ رِضَاهُ بِالْمَذْكُورَاتِ دَلِيْلٌ لِثُبُوتِ مَعْرِفَتِهِ وَنَفَاذِ بَصِيْرَتِهِ وَمُخَالَطَةِ بَشَاشَتِهِ قَلْبَهُ لِأَنَّ مَنْ رَضِيَ أَمْرًا سَهُلَ عَلَيْهِ فَكَذَا الْمُؤْمِنُ إِذَا دَخَلَ قَلْبَهُ الإِيْمَانُ سَهُلَ عَلَيْهِ طَاعَاتُ اللهِ تَعَالَىٰ وَلَذَّتْ لَهُ [٢] .

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنْ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣٤ - ٥٦) عَنِ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- .
(٢) شَـرْحُ النَّوَوِيُّ عَلَـىٰ مُسْلِمٍ (٢/ ٢) .



عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّه قَالَ : « مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ :أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، رَضِيْتُ بِاللهِ رَبًّا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً ، وَبالإِسْلاَمِ دِيْنًا ، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ » (١) .

يَقُولُ العَلَّامَةُ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي حَدِيْثِهِ عَلَى هَذَيْنِ الحَدِيْثَيْنِ :

وَهَذَانِ الحَدِيْثَانِ عَلَيْهِمَا مَدَارُ مَقَامَاتِ الدِّيْنِ وَإِلَيْهِمَا يَنْتَهِي .

فَالرِّضَا بِإِلَهِيَّتِهِ يَتَضَمَّنُ الرِّضَا بِمَحَبَّتِهِ وَحْدَهُ ، وَخَوْفِهِ ، وَرَجَائِهِ ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ ، وَالتَّبَتُّلِ إِلَيْهِ ، وَانْجِذَابِ قُوَى الْإِرَادَةِ وَالْحُبِّ كُلِّهَا إِلَيْهِ. فِعْلَ الرَّاضِي بِمَحْبُوبِهِ كُلَّ الرِّضَا ، وَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ عِبَادَتَهُ وَالْإِخْلَاصَ لَهُ.

وَالرِّضَا بِرُبُوبِيَّتِهِ: يَتَضَمَّنُ الرِّضَا بِتَدْبِيرِهِ لِعَبْدِهِ، وَيَتَضَمَّنُ إِفْرَادَهُ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ ، وَالِاسْتِعَانَةِ بِهِ ، وَالثِّقَةِ بِهِ ، وَالِاعْتِمَادِ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَكُونَ رَاضِيًا بِكُلِّ مَا يَفْعَلُ بِهِ.

وَأَمَّا الرِّضَا بِنَبِيِّهِ رَسُولًا: فَيَتَضَمَّنُ كَمَالَ الِانْقِيَادِ لَهُ، وَالتَّسْلِيمَ الْمُطْلَقَ إِلَيْهِ، بِحَيْثُ يَكُونُ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ ، فَلَا يَتَلَقَّى الْهُدَى إِلَّا مِنْ مَوَاقِعِ كَلِمَاتِهِ، وَلَا يُحَاكِمُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا يُحَكِّمُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ ، وَلَا يَرْضَى بِحُكْمِ غَيْرِهِ فِي أَيِّ أَمْرٍ مِنَ الأُمُورِ .

وَأَمَّا الرِّضَا بِدِينِهِ: فَإِذَا قَالَ ، أَوْ حَكَمَ ، أَوْ أَمَرَ ، أَوْ نَهَى: رَضِيَ كُلَّ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٣٨٦) .

الرِّضَا ، وَلَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهِ حَرَجٌ مِنْ حُكْمِهِ ، وَسَلَّمَ لَهُ تَسْلِيمًا ، وَلَوْ كَانَ مُخَالِفًا لِمُرَادِ نَفْسِهِ أَوْ هَوَاهَا ، أَوْ قَوْلِ مُقَلِّدِهِ وَشَيْخِهِ وَطَائِفَتِهِ [1] .

٢- الرِّضَا مِنْ وَصَايَا الرَّسُولِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

وَالرِّضَا مِنْ وَصَايَا الرَّسُولِ الكَرِيمِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ يَأْخُذُ عَنِّيْ هَؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ ؟** » .

فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-:فَقُلْتُ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ،فَأَخَذَ بِيَدِيْ فَعَدَّ خَمْسًا،وَقَالَ: « **اتَّقِ المَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ،وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَىٰ النَّاسِ،وَأَحْسِنْ إِلَىٰ جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا،وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا،وَلاَ تُكْثِرِ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيْتُ القَلْبَ**» [2] .

وَقَدْ كَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَمَا تَحْكِي لَنَا أُمُّ المُؤْمِنِيْنَ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ : فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَيْلَةً مِنَ الفِرَاشِ ، فَالتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِيْ عَلَىٰ بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي المَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ**

---

(١) « مَدَارِجُ السَّالِكِيْنَ » (٢/ ١٧٢-١٧٣) بِتَصَرُّفٍ .

(٢) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ التِّرمِذِيُّ فِي « سُنَنِهِ » (٢٣٠٥) ، وَ«المُعْجَمُ الأَوْسَطُ» (٧/ ١٢٥) ، وَقَالَ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- حَسَنٌ ، انْظُرْ : (السِّلْسِلَةَ الصَّحِيْحَةَ) (٩٣٠) .



عَلَىٰ نَفْسِكَ...» (١) .

فَقَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ**» أَيْ بِمَا يُرْضِيكَ عَمَّا يُسْخِطُكَ ، فَقَدْ خَرَجَ العَبْدُ هُنَا عَنْ حَظِّ نَفْسِهِ بِإِقَامَةِ حُرْمَةِ مَحْبُوبِهِ ، فَهَذَا للهِ ثُمَّ الَّذِي لِنَفْسِهِ مِنْ هَذَا البَابِ قَوْلُهُ : «**وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ**» اسْتَعَاذَ بِمُعَافَاتِهِ بَعْدَ اسْتِعَاذَتِهِ بِرِضَاهُ لِأَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنْ يَرْضَىٰ عَنْهُ مِنْ جِهَةِ حُقُوقِهِ وَيُعَاقِبُهُ عَلَىٰ حُقُوقِ غَيْرِهِ (٢) .

وَمِنْ أَدْعِيَتِهِ أَيْضًا قَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي حَدِيثِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- : « **اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الحَقِّ فِي الرِّضَا والغَضَبِ ، وَأَسْأَلُكَ القَصْدَ فِي الفَقْرِ والغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لا يَنْفَدُ ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لاَ تَنْقَطِعُ ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ القَضَاءِ ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ العَيْشِ بَعْدَ المَوْتِ ...** » (٣) .

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٤٨٦) ، وَفِي هَذَا الحَدِيثِ مَعْنىً لَطِيفٌ كَمَا يَقُولُ العَلاَمَةُ الخَطَابِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- وَذَلِكَ أَنَّهُ اسْتَعَاذَ بِاللهِ -تَعَالَىٰ- وَسَأَلَهُ أَنْ يُجِيْرَهُ بِرِضَاهُ مِنْ سَخَطِهِ ، وَبِمُعَافَاتِهِ مِنْ عُقُوبَتِهِ ، وَالرِّضَا والسَّخَطُ ضِدَّانِ مُتَقَابِلاَنِ ، وَكَذَلِكَ المُعَافَاةُ والعُقُوبَةُ ، فَلَمَّا صَارَ إِلَىٰ مَا ذَكَرَ مَا لاَ ضِدَّ لَهُ وَهُوَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- اسْتَعَاذَ بِهِ مِنْهُ لاَ غَيْرَ ، وَمَعْنَاهُ الاسْتِغْفَارُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي بُلُوغِ الوَاجِبِ مِنْ حَقِّ عِبَادَتِهِ والثَّنَاءِ عَلَيْهِ . انْظُرْ : « شَرْحِ النَّوَوِيِّ عَلَىٰ مُسْلِمٍ » (٤/ ٢٠٤) .

(٢) «فَيْضُ القَدِيرِ» (٢/ ١٣٩) .

(٣) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي «سُنَنِهِ» (١٣٠٥)، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي المُسْنَدِ : (١٨٣٥١)، وَقَالَ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-: صَحِيحٌ ، انْظُرْ : « مِشْكَاةَ المَصَابِيحِ (٢٤٩٧) .



٣- الرِّضَا بِمَا عِنْدَ اللهِ -تعَالَى- يَكْفِيْكَ مَا عِنْدَ النَّاسِ :

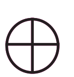
وَالرِّضَا بِمَا عِنْدَ اللهِ -تَعَالَىٰ- يَكْفِيْكَ مَا عِنْدَ النَّاسِ ، فَعَلَىٰ المُسْلِمِ أَنْ يَلْتَمِسَ رِضَا المَوْلَىٰ - جَلَّ وَعَلا- تَقُولُ أُمُّ المُؤمِنِيْنَ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ : « **مَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ ، وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ ، وَكَلَهُ اللهُ إِلَىٰ النَّاسِ** »[1] .

٤- إِنَّ الرِّضَا بِالقَلِيْلِ مِنْ الرِّزْقِ مِنْ أَسْبَابِ الفَلاحِ :

ومِنَ الأَحَادِيْثِ الوَارِدَةِ فِي بَيَانِ فَضْلِ الرِّضَا بِالقَلِيْلِ مِنَ الرِّزْقِ قَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : « **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ ، وَكَانَ رِزْقُهُ كِفَافًا وَقَنَّعَهُ اللهُ** »[2] .

(١) (صَحِيْحٌ لِغَيْرِهِ) أَخْرَجَهُ التِّرمِذْيُّ (٢٤١٤) ، وَصَحَّحَهُ ابْنِ حِبَّانَ (٢٧٦)، وَقَالَ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-: « صَحِيْحٌ لِغَيْرِهِ »، انْظُرْ: «صَحِيْحَ التَّرْغِيْبِ وَالتَّرْهِيْبِ (٢٢٥٠).

(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرمِذْيُّ(٢٣٤٨)،وَقَالَ: هَذَا حَدِيْثٌ حَسَنٌ صَحِيْحٌ،وَابْنِ حِبَّانَ فِي «صَحِيْحِهِ» (٦٧)، وَقَالَ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-:« صَحِيْحٌ» ، انْظُرْ : تَخْرِيْجَ مُشْكِلَةِ الفَقْرِ» (١٨)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بنْ عَمْرٍو، وَهُو عِنْد مُسْلِمٍ بِلَفْظِ: « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ ، ورُزِقَ كِفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا أَتَاهُ » أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٠٥٤) .

٣٤





الفَصْلُ الثَّالِثُ
مِنْ أَقْوَالِ السَّلَفِ في الرِّضَا



مَنْ تَأَمَّلَ أَقْوَالَ السَّلَفِ الصَّالِحِ فِي الرِّضَا وَكَيْفَ عَبَّرُوا عَنْهُ بِإِشْرَاقَةِ لَفْظٍ وَجَمَالِ عِبَارَةٍ وَعَمِيقِ مَعْنًى حَتَّىٰ صَارَتْ حِكَمًا تَدُورُ عَلَىٰ أَلْسِنَةِ الخَلْقِ وَيُهْتَدَىٰ بِهَا إِلَىٰ الحَقِّ، عَلِمَ فَضْلَ عِلْمِ السَّلَفِ عَلَىٰ عِلْمِ الخَلَفِ لِعُلُوِّ كَعْبِهِمْ فِي العِلْمِ وَالعِبَادَةِ وَالزُّهْدِ وَالوَرَعِ.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ ﴾ [التَّغَابُن: ١١].

قَالَ عَلْقَمَةُ -رَحِمَهُ اللهُ-: هِيَ المُصِيبَةُ تُصِيبُ الرَّجُلَ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَيُسَلِّمُ لَهَا وَيَرْضَىٰ »[1].

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: « إِنَّ اللهَ إِذَا قَضَىٰ قَضَاءً أَحَبَّ أَنْ يَرْضَىٰ بِهِ »[2].

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: « إِنَّ اللهَ بِقِسْطِهِ وَعَدْلِهِ جَعَلَ الرُّوْحَ وَالفَرَحَ فِي اليَقِيْنِ، وَجَعَلَ الهَمَّ وَالحَزَنَ فِي الشَّكِّ وَالسَّخَطِ »[3].

---

(١) «جَامِعُ العُلُومِ والحِكَمِ» (٢/ ٥٧٩).
(٢) «المَرْجِعُ السَّابِقُ» (٢/ ٥٨٠).
(٣) «أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «اليَقِيْنِ» (٣٢)، والبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ» (٢٠٩) مَوْقُوفًا.

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : « الرَّاضِي لاَ يَتَمَنَّىٰ غَيْرَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ شَدَّةٍ وَرَخَاءٍ »[١].

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَىٰ أَبِي مُوسَى- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ فِي الرِّضَا ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَرْضَىٰ وَإِلَّا فَاصْبِرْ[٢].

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيْزِ -رَحِمَهُ اللهُ-: « لَقَدْ تَرَكَتْنِي هَؤُلاَءِ الدَّعَوَاتُ، وَمَا لِي فِي شَيْءٍ مِنَ الأُمُورِ كُلِّهَا ، إِلَّا فِي مَوَاقِعِ قَدَرِ اللهِ ، وَكَانَ كَثِيْرًا مَا يَدْعُو: اللَّهُمْ رَضِّنِي بِقَضَائِكَ ، وَبَارِكْ لِي فِي قَدَرِكَ حَتَّىٰ لاَ أُحِبُّ تَعْجِيْلَ شَيْءٍ أَخَّرْتَهُ ، وَلاَ تَأْخِيْرَ شَيْءٍ عَجَّلْتَهُ .

وَقَالَ : مَا أَصْبَحَ لِي هَوَىً فِي شَيْءٍ سِوَىٰ مَا قَضَىٰ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- [٣].

قِيلَ لِيَحْيَىٰ بْنِ مُعَاذٍ: مَتَىٰ يَبْلُغُ الْعَبْدُ إِلَىٰ مَقَامِ الرِّضَا؟ فَقَالَ: إِذَا أَقَامَ نَفْسَهُ عَلَىٰ أَرْبَعَةِ أُصُولٍ فِيمَا يُعَامِلُ بِهِ رَبَّهُ ، فَيَقُولُ: إِنْ أَعْطَيْتَنِي قَبِلْتُ. وَإِنْ مَنَعْتَنِي رَضِيتُ. وَإِنْ تَرَكْتَنِي عَبَدْتُ. وَإِنْ دَعَوْتَنِي أَجَبْتُ.

وَقَالَ الْجُنَيْدُ: الرِّضَا هُوَ صِحَّةُ الْعِلْمِ الْوَاصِلِ إِلَىٰ الْقَلْبِ. فَإِذَا بَاشَرَ الْقَلْبَ حَقِيقَةُ الْعِلْمِ أَدَّاهُ إِلَىٰ الرِّضَا.

وَقَالَ ذُو النُّونِ: ثَلاَثَةٌ مِنْ أَعْلَامِ الرِّضَا: تَرْكُ الِاخْتِيَارِ قَبْلَ الْقَضَاءِ ،

(١) « أَخْرَجَهُ والبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ» (٢٠٧) ، وَزَادَ فِي أَوَّلِهِ : «**إِنَّ مِنْ ضَعْفِ اليَقِينْ أَنْ تُرْضِي النَّاسَ بِسَخَطِ الله ، أَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَىٰ رِزْقِ الله** » .

(٢) « مَدَارِجُ السَّالِكِيْنَ » (٢/ ١٧٥) .

(٣) « مَدَارِجُ السَّالِكِيْنَ » (٢/ ٢١٥) .

وَفُقْدَانُ الْمَرَارَةِ بَعْدَ الْقَضَاءِ. وَهَيَجَانُ الْحُبِّ فِي حَشْوِ الْبَلَاءِ.

وَسُئِلَ أَبُو عُثْمَانَ عَنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « **أَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ** » فَقَالَ: لِأَنَّ الرِّضَا قَبْلَ الْقَضَاءِ عَزْمٌ عَلَىٰ الرِّضَا ، وَالرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ هُوَ الرِّضَا.

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَّاقُ: الْإِنْسَانُ خَزَفٌ. وَلَيْسَ لِلْخَزَفِ مِنَ الْخَطَرِ مَا يُعَارِضُ فِيهِ حُكْمَ الْحَقِّ تَعَالَى.

وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ الْحِيرِيُّ: مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً مَا أَقَامَنِي اللهُ فِي حَالٍ فَكَرِهْتُهُ، وَمَا نَقَلَنِي إِلَىٰ غَيْرِهِ فَسَخِطْتُهُ [١] .

اجْتَمَعَ وُهَيْبُ بْنُ الوَرْدِ ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، وَيُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ ، فَقَالَ الثَّوْرِيُّ : قَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ مَوْتَ الفُجَاءَةِ قَبْلَ اليَوْمِ ، وَأَمَّا اليَوْمَ : فَوَدِدْتُ أَنِّي مَيِّتٌ .

فَقَالَ لَهُ يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ : وَلِمَ ؟، فَقَالَ : أَتَخَوَّفُ مِنَ الفِتْنَةِ .

فَقَالَ يُوسُفُ : لَكِنِّي لاَ أَكْرَهُ طُولَ البَقَاءِ .

فَقَالَ الثَّوْرِيُّ : وَلِمَ تَكْرَهُ المَوْتَ ؟.

قَالَ : لَعَلِّي أُصَادِفُ يَوْمًا أَتُوبُ فِيهِ وَأَعْمَلُ صَالِحًا .

فَقِيلَ لِوَهَيْبٍ : أَيُّ شَيْءٍ تَقُولُ أَنْتَ ؟ .

---

(١) « مَدَارِجُ السَّالِكِيـنَ » (٢/ ١٧٢) .

٣٧

فَقَالَ : أَنَا لاَ أَخْتَارُ شَيْئًا ، أَحَبُّ ذَلِك إِلَيَّ أَحَبُّهُ إِلَىٰ اللهِ .

فَقَبَّلَ الثَّوْرِيُّ بَيْنَ عَيْنَيْنِ وَقَالَ : رُوحَانِيَّةٌ وَرَبِّ الكَعْبَةِ .

فَهَذَا حَالُ عَبْدٍ قَدِ اسْتَوَتْ عِنْدَهُ حَالَةُ الحَيَاةِ والمَوْتِ ، وَقَفَ مَعَ اخْتِيَارِ اللهِ لَهُ مِنْهَا ، وَقَدْ كَانَ وُهَيْبٌ –رَحِمَهُ اللهُ– لَهُ المَقَامُ العَالِي مِنَ الرِّضَا وغَيْرِهِ [(١)].

قَالَ الرَّبِيْعُ بْنُ أَنَسٍ –رَحِمَهُ اللهُ– عَلاَمَةُ حُبِّ اللهِ : كَثْرَةُ ذِكْرِهِ ، فَإِنَّكَ لاَ تُحِبُّ شَيْئًا إِلَّا أَكْثَرْتَ مِنْ ذِكْرِهِ .

وَعَلاَمَةُ الدِّيْنِ : الإِخْلاَصُ للهِ فِي السِّرِّ والعَلاَنِيَةِ ، وَعَلاَمَةُ الشُّكْرِ : الرِّضَا بِقَدَرِ اللهِ ، والتَّسْلِيْمُ لِقَضَائِهِ [(٢)].

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الحِوَارِيِّ : ذَاكَرْتُ أَبَا سُلَيْمَانَ فِي الخَبَرِ المَرْوِيِّ : أَوَّلُ [مَنْ] يُدْعَىٰ إِلَىٰ الجَنَّةِ الحَمَّادُونَ ، فَقَالَ : وَيْحَكَ ، لَيْسَ هُوَ أَنْ تَحْمَدَهُ عَلَىٰ المُصِيْبَةِ وَقَلْبُكَ يَتَعَصَّىٰ عَلَيْكَ ، إِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَىٰ الصَّابِرِيْنَ ، إِنَّمَا الحَمْدُ: أَنْ تَحْمَدَهُ وَقَلْبُكَ مُسَلِّمٌ رَاضٍ [(٣)] .

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ يَوْمًا عِنْدَ رَابِعَةً : اللَّهُمَّ ارْضَ عَنَّا ، فَقَالَتْ : أَمَا تَسْتَحِي أَنْ تَسْأَلَهُ الرِّضَا عَنْكَ ، وَأَنْتَ غَيْرُ رَاضٍ عَنْهُ ؟ ،فَقَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ : مَتَىٰ يَكُونُ العَبْدُ رَاضِيًا عَنِ اللهِ ؟ ، فَقَالَتْ : إِذَا

---

(١) « مَدَارِجُ السَّالِكِيْنَ » (٢/ ٢٠٧) .
(٢) « مَدَارِجُ السَّالِكِيْنَ » (٢/ ٢١٠) .
(٣) « المَرْجِعُ السَّابِقُ » (٢/ ٢١٠) .

كَانَ سُرُورُهُ بِالْمُصِيبَةِ مِثْلَ سُرُورِهِ بِالنِّعْمَةِ [١] .

عَنْ بِشْرِ بْنِ بَشَّارٍ الْمُجَاشِعِيِّ -وَكَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ - قَالَ: قُلْتُ لِعَابِدٍ : أَوْصِنِي.

قَالَ: أَلْقِ نَفْسَكَ مَعَ الْقَدَرِ حَيْثُ أَلْقَاكَ ، فَهُوَ أَحْرَىٰ أَنْ يُفَرِّغَ قَلْبَكَ ، وَيُقَلِّلَ هَمَّكَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْخَطَ ذَلِكَ ، فَيَحِلَّ بِكَ السَّخَطُ وَأَنْتَ عَنْهُ فِي غَفْلَةٍ لاَ تَشْعُرُ بِهِ ، فَيُلْقِيَكَ مَعَ الَّذِيْنَ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ .

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: ذَرُوا التَّدْبِيْرَ وَالاخْتِيَارَ تَكُونُوا فِي طِيِّبٍ مِنَ الْعَيْشِ، فَإِنَّ التَّدْبِيْرَ وَالاخْتِيَارَ يُكَدِّرُ عَلَىٰ النَّاسِ عَيْشَهُمْ .

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنِ عَطَاءٍ : الْفَرَحُ فِي تَدْبِيرِ اللهِ لَنَا ، وَالشَّقَاءُ كُلُّهُ فِي تَدْبِيْرِنَا .

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: مَنْ لَمْ يَصْلُحْ عَلَىٰ تَقْدِيْرِ اللهِ لَمْ يَصْلُحْ عَلَىٰ تَقْدِيْرِ نَفْسِهِ.

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الطُّوسِيُّ: مَنْ تَرَكَ التَّدْبِيْرَ عَاشَ فِي رَاحَةٍ [٢] .

وَقَالَ شُعْبَةُ : قَالَ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ : مَا تَمَنَّيْتُ شَيْئًا قَطُّ [٣] .

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ : الرَّاضِي لاَ يَتَمَنَّىٰ فَوْقَ مَنْزِلَتِهِ [٤] .

---

(١) « مَدَارِجُ السَّالِكِيْنَ » (٢/ ٢١٣) .
(٢) « الْمَرْجِعُ السَّابِقُ » (٢/ ٢١٥) .
(٣) « الْمَرْجِعُ السَّابِقُ » (٢/ ٢١٥) .
(٤) « الْمَرْجِعُ السَّابِقُ » (٢/ ٢١٥) .

وَقَالَ ذُو النُّونِ : ثَلاثَةٌ مِنْ أَعْلامِ التَّسْلِيْمِ : مُقَابَلَةُ القَضَاءِ بِالرِّضَا ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ البَلَاءِ ، والشُّكْرُ عِنْدَ الرَّخَاءِ ، وَثَلاثَةٌ مِنْ أَعْلامِ التَّفْوِيْضِ: تَعْطِيْلُ إِرَادَتِكَ لِمُرَادِه ، والنَّظَرُ إِلَىٰ مَا يَقَعُ مِنْ تَدْبِيْرِهِ لَكَ ، وَتَرْكُ الاعْتِرَاضِ عَلَىٰ الحُكْمِ ، وَثَلاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِ التَّوْحِيْدِ : رُؤْيَةُ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ اللهِ ، وَقُبُولُ كُلِّ شَيْءٍ عَنْهُ ، وَإِضَافَةُ كُلِّ شَيْءٍ إِلَيْهِ .

وَقَالَ بَعْضُ العَارِفِيْنَ : أَصْلُ العِبَادَةِ ثَلاثَةٌ : لَا تَرُدَّ مِنْ أَحْكَامِهِ شَيْئًا ، وَلاَ تَسْأَلُ غَيْرَهُ حَاجَةً ، وَلاَ تَدَّخِرْ عَنْهُ شَيْئًا .

وَسُئِلَ ابْنُ شَمْعُونٍ عَنِ الرِّضَا ؟، فَقَالَ : أَنْ تَرْضَىٰ بِهِ مُدَبِّرًا وَمُخْتَارًا ، وَتَرْضَىٰ عَنْهُ قَاسِمًا وَمُعْطِيًا وَمَانِعًا ، وَتَرْضَاهُ إِلَهًا [1] .

وَقَالَ ابْنُ عَجِيْبَةٍ : « إِذَا عَلِمَ العَبْدُ أَنَّ اللهَ كَافٍ جَمِيْعَ عِبَادِهِ ، وَثِقَ بِضَمَانِهِ، فَاسْتَرَاحَ مِنْ تَعَبِهِ ، وَأَزَالَ الهُمُومَ والأَكْدَارَ عَنْ قَلْبِهِ ، فَيَدْخُلُ جَنَّةَ الرِّضَا وَالتَّسْلِيْمِ ، وَيَهُبُّ عَلَيْهِ مِنْ رَوْحِ الوِصَالِ وَرَيْحَانِ الجَمَالِ نَسِيْمُهُ ، فَيَكْتَفِي بِاللهِ ، وَيَقْنَعُ بِعِلْمِ اللهِ ، وَيَثِقُ بِضَمَانِهِ [2] .

وَقَالَ ابْنُ عَطَاءٍ : «الرِّضَا سُكُونُ القَلْبِ إِلَىٰ قَدِيْمِ اخْتِيَارِ اللهِ لِلْعَبْدِ أَنَّهُ اخْتَارَ لَهُ الأَفْضَلَ فَيَرْضَىٰ بِهِ » [3].

---

(١) « المَرْجِعُ السَّابِقُ» (٢/ ٢١٥) .
(٢) « البُحْرُ المَدِيْدُ » (٥/ ٣٢٠) .
(٣) « المَرْجِعُ السَّابِقُ» (٢/ ١٧٣) .

وَقَالَ بَعْضُ العَارِفِيْنَ: الرِّضَا تَرْكُ الاخْتِيَار، وَسُرُورُ القَلْبِ بِمُرِّ القَضَاءِ، وإِسْقَاطُ التَّدْبِيْرِ مِنَ النَّفْسِ ، حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللهُ لَهَا أَوْ عَلَيْهَا .

وَلِلّهِ دَرُّ القَائِلِ :

العَبْدُ ذُو ضَجَرٍ وَالرَّبُّ ذُو قَدَرٍ وَالدَّهْرُ ذُو دُوَلٍ والرِّزْقُ مَقْسُومُ

والخَيْـرُ أَجْمَعُ فِيْمَا اخْتَارَ خَالِقُنَا وَفِي اخْتِيَارِ سِوَاهُ اللَّؤْمُ والشُّوْمِ (١)

قَالَ بِشْرٌ الحَافِي : يَقُولُ أَحَدُهُمْ : تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللهِ ، يَكْذِبُ عَلَىٰ اللهِ ، لَوْ تَوَكَّلَ عَلَىٰ اللهِ ، رَضِيَ بِمَا يَفْعَلُ اللهُ (٢) .

وَأَخْتِمُ هَذِهِ العُقُودَ بِقَوْلِ ابْنِ القَيِّم -رَحِمَهُ اللهُ- الرِّضَا بَابُ اللهِ الأَعْظَم، وَجَنَّةُ الدُّنْيَا ، وَمُسْتَرَاحُ العَارِفِيْنَ ، وَحَيَاةُ المُحِبِّيْنَ ، وَنَعِيْمُ العَابِدِيْنَ ، وَقُرَّةُ عُيُونِ المُشْتَاقِيْنَ (٣) .

وَقَالَ -رَحِمَهُ اللهُ- : مَنْ مَلأَ قَلْبَهُ مِنَ الرِّضَا ، مَلأَ اللهُ صَدْرَهُ غِنَىً وَأَمْنًا وَقَنَاعَةً ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِمَحَبَّتِهِ ، وَالإِنَابَةِ إِلَيْهِ ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ ، وَمَنْ فَاتَهُ حَظُّهُ مِنَ الرِّضَا : امْتَلأَ قَلْبُهُ بِضِدِّ ذَلِكَ عَمَّا فِيْهِ سَعَادَتُهُ وَفَلاحُهُ (٤) .

---

(١) «المَرْجِعُ السَّابِقُ» (٢/ ٢١٥) .
(٢) «المَرْجِعُ السَّابِقُ» (٢/ ٢١٥) .
(٣) «المَرْجِعُ السَّابِقُ» (٢/ ١٧٢) .
(٤) «المَرْجِعُ السَّابِقُ» (٢/ ١٧٢) .




٤٢




البَابُ الثَّالثُ
مَنْزِلَةُ الرِّضَا وَعَلامَتُهُ

الفَصْلُ الأَوَّلُ
مَقَامُ الرِّضَا وَفَضْلِهِ

وَتَحْتَهُ تِسْعَةُ مَبَاحِث :

المَبْحَثُ الأَوَّلُ : الرِّضَا لاَ يَكُونُ بِالتَّحَلِّي وَلاَ بِالتَّمَنِّي .

المَبْحَثُ الثَّانِي : الرِّضَا حَالٌ مِنْ أَحْوَالِ أَهْلِ الجَنَّةِ .

المَبْحَثُ الثَّالِثُ : الرِّضَا بِالقَضَاءِ مِنْ تَمَامِ الإِيْمَانِ بِالقَضَاءِ والقَدْرِ .

المَبْحَثُ الرَّابِعُ : الرِّضَا مِنْ مَنَازِلِ الشُّهَدَاءِ .

المَبْحَثُ الخَامِسُ : الرِّضَا مِنْ سَعَادَةِ المُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ .

المَبْحَثُ السَّادِسُ : الرِّضَا مِنْ مَقَامَاتِ الإِحْسَانِ .

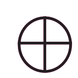
المَبْحَثُ السَّابِعُ : مَقَامُ الرِّضَا أَعْلَىٰ مِنْ مَقَامُ الصَّبْرِ .

المَبْحَثُ الثَّامِنُ : الرِّضَا مِنَ المَقَامَاتِ الَّتِي تُوْصِلُ الطُّمَأْنِيْنَةَ .

المَبْحَثُ التَّاسِعُ : الخَيْرُ كُلُّهُ فِي الرِّضَا .









الفَصْلُ الثَّاني
مَتَى يَكُونُ الرِّضَا ؟

الفَصْلُ الثَّالِثُ
الصِّلَةُ بَيْنَ الرِّضَا وَالتَّوَكُّلِ






الفَصْلُ الأَوَّلُ

مَقَامُ الرِّضَا وَفَضْلِهِ

١ - الرِّضَا لا يَكُونُ بِالتَّحَلِّي وَلا بِالتَّمَنِّي :

بُلُوغُ مَقَامِ الرِّضَا لاَ يَكُونُ بِالتَّحَلِّي وَلاَ بِالتَّمَنِّي،كَمَا وَرَدَ فِي الأَثَرِ عَنِ الإِيْمَانِ: « **لَيْسَ الإِيْمَانُ بِالتَّحَلِّي وَلاَ بِالتَّمَنِّي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي القَلْبِ وَصَدَّقَهُ العَمَلُ**» [(١)] ، وَلَيْسَ بِالادِّعَاءِ والكِبْرِيَاءِ، كَمَا فِي قِصَّةِ قَارُونَ لَمَّا وَعَظَهُ قَوْمُهُ بِشَأْنِ مَالِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّمَا أُوتِيْتُ هَذِهِ الكُنُوزَ عَلَىٰ فَضْلِ عِلْمٍ عِنْدِي ، عَلِمَهُ اللهُ مِنِّي، فَرَضِيَ بِذَلِكَ عَنِّي، وَفَضَّلَنِي بِهَذَا المَالِ عَلَيْكُمْ ، لِعِلْمِهِ بِفَضْلِي عَلَيْكُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فِي ذَلِكَ: ﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [القَصَصُ:٧٦-٧٨] .

---

(١) أَخْرَجَهُ البَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيْمَانِ» (١/ ٨٠) مِنْ قَوْلِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ ، واللالكَائِيُّ فِي اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ (٤/ ٨٣٩١) ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - إِلَىٰ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، والصَّحِيحُ أَنَّهُ مِنْ كَلاَمِ الحَسَنِ ، واللهُ أَعْلَمُ .





وَفِي تَفْسِيرِ الطَّبَرِيِّ فِي قَوْلِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ قَالَ: «لَوْلَا رِضَا اللهِ عَنِّي، وَمَعْرِفَتُهُ بِفَضْلِي، مَا أَعْطَانِي هَذَا»[1]. [2].

فَلَيْسَ المَالُ وَكَثْرَتُهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَبْلُغُ بِهِ العَبْدُ دَرَجَةَ الرِّضَا، فَكَمْ مَعَ قَارُونَ ؟، وَكَمْ مَلَكَ قَارُونَ ؟، وَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُ شَيْئًا، وَمَا رَضِيَ عَنِ اللهِ، وَلَا بِقَضَائِهِ، لِقَدْ تَمَنَّىٰ مَنْ تَمَنَّىٰ مِمَّنْ رَأَىٰ قَارُونَ فِي زِينَتِهِ، وَمَالِهِ، وَجَبَرُوتِهِ، أَنْ يَحْصُلُوا عَلَىٰ مَا حَصَلَ عَلَيْهِ، فَقَالُوا: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القَصَصُ:٧٩].

وَظَنُّوا أَنَّهُ بَلَغَ مَقَامَ الرِّضَا، وَلَكِنَّ اللهَ أَخْبَرَ أَنَّ المَالَ لَيْسَ بِدَلِيلٍ عَلَىٰ رِضَا اللهِ عَنْ صَاحِبِهِ، فَإِنَّ اللهَ يُعْطِي وَيَمْنَعُ، وَيُضَيِّقُ وَيُوَسِّعُ، وَيَخْفِضُ وَيَرْفَعُ، وَلَهُ الحِكْمَةُ التَّامَّةُ - سُبْحَانَهُ - والحُجَّةُ البَالِغَةُ.

وَلِهَذَا لَمَّا أَدْرَكَ المُتَمَنُّونَ مَا حَصَلَ لِقَارُونَ، وَأَنَّهُ بَعِيدٌ كُلَّ ا لبُعْدِ عَن رِضَا اللهِ أَوَّلاً، والرِّضَا بِمَا أَعْطَاهُ قَالُوا: ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [القَصَصُ:٨٢]، فَلَوْلَا لُطْفُ اللهِ بِنَا وَإِحْسَانُهُ إِلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا كَمَا خَسَفَ بِهِ[3].

---

(١) انْظُرْ: «تَفْسِيرَ الطَّبَرِيِّ» (٢٠/ ١١٣).
(٢) انْظُرْ: «صِفَةُ الرِّضَا» د. سَالِمُ القَرْنِيُّ، مَجَلَّةُ جَامِعَةِ أُمِّ القُرَىٰ، العَدَدُ (٢٠).
(٣) «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ» (٣/ ٤٠٢).



٢- الرِّضَا حَالٌ مِنْ أَحْوَالِ أَهْلِ الجَنَّة :

الرِّضَا حَالٌ مِنْ أَحْوَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَا يُفَارِقُ صَاحِبَهُ الْمُتَحَلَّىٰ بِهِ فِي الدُّنْيَا، مَا دَامَ مَعَ أَمْرِ اللهِ ، رَاضِيًا بِقَضَائِهِ فِي الدُّنْيَا ، وَفِي الآخِرَةِ ، كَمَا فِي الآيَاتِ وَالأَحَادِيْثِ السَّابِقَةِ [(١)] .

٣- الرِّضَا بِالقَضَاءِ مِنْ تَمَامِ الإِيْمَانِ بِالقَضَاءِ والقَدْرِ :

فَالرِّضَا بِالقَضَاءِ مِنْ تَمَامِ الإِيْمَانِ بِالقَضَاءِ والقَدْرِ [(٢)].

وَالرِّضَا غَايَةٌ يَسْعَىٰ لَهَا الْمُؤْمِنُ الصَّادِقُ ، كَمَا فِي حَدِيْثِ الاسْتِخَارَةِ السَّابِقِ: « **... واقْدُرْ لِيَ الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ** » .

ولِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَدْعُوا فِي صَلاتِهِ أَنْ يُعْطِيَهُ الرِّضَا بَعْدَ القَضَاءِ ، كَمَا فِي حَدِيْثِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : «**وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ القَضَاءِ** » .

وَالرِّضَا بِالقَضَاءِ لَهُ مَنْزِلَةٌ عَظِيْمَةٌ عِنْدَ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَلِذَلِكَ فَإِنَّ ثَوَابَهُ عَظِيْمٌ أَيْضًا ، كَمَا فِي الحَدِيْثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- : «**وَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**» [(٣)].

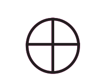
---

(١) « مَدَارِجُ السَّالِكِيْنَ » (٢/ ١٧٤) .

(٢) انْظُرْ: «شِفَاءُ العَلِيْلِ» (٢٧٨) .

(٣) (حَسَنٌ صَحِيْحٌ) رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ(٢٣٩٦)،وَقَالَ الأَلْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ- فِي:«صَحِيْحِ الجَامِعِ» (٢١١٠) حَسَنٌ صَحِيْحٌ .







٤- الرِّضا مِنْ مَنازِلِ الشُّهَداءِ :

فَهُوَ مِنْ مَنَازِلِ الشُّهَدَاءِ ، كَمَا فِي الحَدِيْثِ الصَّحِيْحِ عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : جَاءَ نَاسٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالُوا : أَنْ ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالاً يُعَلِّمُونَا القُرْآنَ والسُّنَّةَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِيْنَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُمْ : القُرَّاءُ فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ ، يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بِاللَّيْلِ ، يَتَعَلَّمُونَ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيْئُونَ بِالمَاءِ ، فَيَضَعُونَهُ بِالمَسْجِدِ ، وَيَحْتَطِبُونَ؛ فَيَبِعُونَهُ، وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ الصُّفَّةِ [(١)]، وَلِلْفُقَرَاءِ ، فَبَعَثَهُمْ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَيْهِمْ ، فَعَرَضُوا لَهُمْ ، فَقَتَلُوهُمْ؛ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا المَكَانَ، فَقَالُوا : اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا ، أَنَّا قَدْ لَقِيْنَاكَ فَرَضِيْنَا عَنْكَ ، وَرَضِيْتَ عَنَّا ، قَالَ : وَأَتَىٰ رَجُلٌ حَرَامًا -خَالَ أَنَسٍ- مِنْ خَلْفِهِ فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ حَتَّىٰ أَنْفَذَهُ ، فَقَالَ حَرَامٌ : فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ ! ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا ، وَإِنَّهُمْ قَالُوا : اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا ، أَنَّا قَدْ لَقِيْنَاكَ فَرَضِيْنَا عَنْكَ ، وَرَضِيْتَ عَنَّا** » [(٢)] .

---

(١) هُمْ : الفُقَرَاءُ الغُرَبَاءُ ، الَّذِيْنَ كَانُوا يَأْوُوْنَ إِلَىٰ مَسْجِدِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَكَانَتْ لَهُمْ فِي آخِرِهِ صُفَّةٌ -وَهُوَ مَكَانٌ مُنْقَطِعٌ مِنَ المَسْجِدِ مُظَلَّلٌ عَلَيْهِ يَبِيتُونَ فِيهِ .انْظُرْ : تَفْسِيْرَ الطَّبَرِيِّ (٢٦/ ٢١)،وَتَفْسِيْرَ القُرْطُبِيِّ(٨/ ١٠٨)،وَهَامِشَ صَحِيْحِ مُسْلِمٍ المَوْضِعَ الآتِي.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الإِمَارَةِ ، بَابُ ثُبُوتِ الجَنَّةِ لِلشَّهِيْدِ (٣/ ١٥١١)، وَأَحْمَدُ فِي المُسْنَدِ (٣/ ٢٧٠) .


٤٨



٥- الرِّضَا مِنْ سَعَادَةِ المُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ :

وَهُوَ مِنْ سَعَادَةِ المُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ ، كَمَا فِي حَدِيْث سَعْد بْن أَبِي وَقَّاص – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ : « **مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ رِضَاهُ بِمَا قَضَى اللهُ لَهُ، وَمِنْ شَقَاوَةِ ابْنِ آدَمَ تَرْكُهُ اسْتِخَارَةَ اللهِ ، وَمِنْ شَقَاوَةِ ابْنِ آدَمَ سَخَطُهُ بِمَا قَضَى اللهُ لَهُ** » (١) .

ضَلَّ مَنْ يَحْسَبُ الرِّضَا هَوَانًا ... أَوْ يَـرَاهُ عَـلَى النِّفَاقِ دَلِـيْلاً
فَالرِّضَا نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ لَمْ يَسْعَدْ ... بِهَـا فِي الـعِـبَـادِ إِلَّا قَـلِـيْلاً
وَالرِّضَـا آيَـةُ البَـرَاءَةِ والإِيْمَانِ ... بِـاللهِ نَـاصِرًا وَوَكِـيْـلاً (٢)

٦- الرِّضَا مِنْ مَقَامَاتِ الإِحْسَانِ :

الرِّضَا مِنْ مَقَامَاتِ الإِحْسَانِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَعْلَى المَنْدُوبَاتِ (٣) .

وَمَرْتَبَةُ الإِحْسَانِ هِيَ أَعلَى مَرَاتِبِ الدِّيْنِ ،كَمَا فِي حَدِيْثِ جِبْرِيْلَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– المَشْهُورِ (٤) .

---

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «المُعْجَمِ الكَبِيْرِ» (١٠/ ٢١٥)، وَ«مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ» (٤/ ٧٤)، وَأَخْرَجَهُ البَيْهَقِيُّ فِي الأَرْبَعِيْنَ الصُّغْرَى (٢/ ٩٩) ، مُرْسَلاً عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ خَيْثَمَةَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، لَكِنَّ ذَلِكَ يَدُلُّ أَنَّ لَهُ طَرِيْقًا آخَرَ مَوْصُولاً غَيْرَ طَرِيْقِ خَالِدِ بْنِ يَزِيْدٍ العُمَرِيِّ ، وَلَعَلَّهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – .

(٢) «صَيْدُ الأَفْكَارِ» ، لِلقَاضِي المَهْدِيِّ (٢/ ٢٩٠) ، وَالأَبْيَاتُ لِمُحَمَّد مُصْطَفَى حَمَام .

(٣) انْظُرْ: «شِفَاءُ العَلِيْلِ» (٢٧٨) .

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٍ فِي أَوَّلِ كِتَابِ الإِيْمَانِ (١/ ٣٧٠) .

وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : « **ذَرْوَةُ الإِيْمَانِ أَرْبَعُ خِلَالٍ: الصَّبْرُ لِلحُكْمِ، والرِّضَا بِالقَدَرِ، والإِخْلاصُ لِلتَّوَكُّلِ، وَالاسْتِسْلاَمُ لِلرَّبِّ**» [(١)].

٧-مَقَامُ الرِّضَا أَعْلَى مِنْ مَقَامُ الصَّبْرِ :

وَمَقَامُ الرِّضَا أَعْلَىٰ مِنْ مَقَامُ الصَّبْرِ .

قَالَ ابْنُ القَيِّم -رَحِمَهُ اللّه- :

« فَمَقَامَاتُ الإِيْمَانِ لاَ تَعْدِمُ بِالتَّنَقُّلِ فِيْهَا ، بَلْ تَنْدَرِجُ وَيَنْطَوِي الأَدْنَىٰ فِي الأَعْلَىٰ ، كَمَا يَنْدَرِجُ الإِيْمَانُ فِي الإِحْسَانِ ، وَكَمَا يَنْدَرِجُ الصَّبْرُ فِي مَقَامَاتِ الرِّضَا ، لَا أَنَّ الصَّبْرَ يَزُولُ ، وَيَنْدَرِجُ الرِّضَا فِي التَّفْوِيْضِ ، وَيَنْدَرِجُ الخَوْفُ وَالرَّجَاءُ فِي الحُبِّ ، لَا أَنَّهما يَزُولَانِ » [(٢)].

٨- الرِّضَا مِنَ المَقَامَاتِ الَّتِي تُوْصِلُ الطُّمَأْنِينَةَ :

الرِّضَا مِنَ المَقَامَاتِ الَّتِي تُوْصِلُ الطُّمَأْنِينَةَ لِأَنَّهَا مَقَامٌ جَامِعٌ لِلْإِنَابَةِ وَالتَّوَكُّلِ، وَالتَّفْوِيضِ وَالرِّضَىٰ وَالتَّسْلِيمِ، فَهُوَ مَعْنًىٰ مُلْتَئِمٌ مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ، إِذَا اجْتَمَعَتْ صَارَ صَاحِبُهَا صَاحِبَ طُمَأْنِينَةٍ، وَمَا نَقَصَ مِنْهَا نَقَصَ مِنَ

---

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا مَرْفُوعًا إِلَىٰ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِسَنَدْ حَسَنٍ (٢/ ٨٥)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيْمَانِ» (١/ ٢١٩) ، وَأَبُو نَعِيْمٍ فِي «الحِلْيَةِ» (١/ ٢١٦)، وابْنُ المُبَارَكِ فِي الزُّهْدِ (ص٣١)، مَوْقُوفًا عَلَىٰ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - .

(٢) « عُدَّةُ الصَّابِرِيْنَ » (١/ ١٢٤) .

الطُّمَأْنِينَةِ [١].

وَكَمْ يَتَمَنَّىٰ العَبْدُ الحُصُولَ عَلَىٰ الطُّمَأْنِينَةِ ، فَالرِّضَا مِنَ الأُمُورِ الَّتِي تُسَبِّبُ فِي وُصُولِ العَبْدِ إِلَيْهَا ، فَهُو بَابُ اللهِ الأَعْظَمِ [٢] .

وَقَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- :

« وَلِذَلِكَ كَانَ الرِّضَا بَابَ اللهِ الأَعْظَمَ، وَجَنَّةَ الدُّنْيَا ، وَمُسْتَرَاحَ الْعَارِفِينَ، وَحَيَاةَ الْمُحِبِّينَ ، وَنَعِيمَ الْعَابِدِينَ ، وَقُرَّةَ عُيُونِ الْمُشْتَاقِينَ » [٣] .

وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَةَ -رَحِمَهُ اللهُ- :

« وَإِنْ ارْتَقَىٰ إِلَىٰ الرِّضَا رَأَىٰ أَنَّ الرِّضَا جَنَّةُ الدُّنْيَا ، وَمُسْتَرَاحُ العَابِدِيْنَ، وَبَابُ اللهِ الأَعْظَمُ » [٤] .

وَقَالَ الفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ -رَحِمَهُ اللهُ- :

« الرِّضَا عَنِ اللهِ دَرَجَةُ الْمُقَرَّبِيْنَ لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللهِ -تَعَالَى- إِلَّا رَوْحٌ وَرَيْحَانٌ » [٥].

---

(١) « مَدَارِجُ السَّالِكِيْنَ » (١ / ١٣٧) .
(٢) « تُحْفَةُ الأَحْوَذِيِّ » (١ / ٥٢٩) .
(٣) « مَدَارِجُ السَّالِكِيْنَ » (٢ / ١٧٤) ، وانْظُرْ : «الفَوَائِدَ» (١/ ٩٣) .
(٤) «فَتَاوَىٰ ابْنِ تَيْمِيَةَ » (١٧/ ٢٧) .
(٥) «حِلْيَةُ الأَوْلِيَاءِ» (٨/ ٩٧) .



٩- أَنَّ الخَيْرَ كُلَّهُ فِي الرِّضَا :

وَمِنَ الكَلاَمِ الحَسَنِ فِي الرِّضَا مَا رُوِيَ عَنْ الفَارُوقِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ كَتَبَ إِلَىٰ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الخَيْرَ كُلَّهُ فِي الرِّضَا، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَرْضَىٰ وَإِلَّا فَالصَّبْرَ»[١].

وَمَا رُوِيَ عَنْ الفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ -رَحِمَهُ اللهُ-: «الرِّضَا أَفْضَلُ مِنَ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ الرَّاضِيَ لَا يَتَمَنَّىٰ فَوْقَ مَنْزِلَتِهِ»[٢].

وَسُئِلَ أَبُو سَهْلٍ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنِ الشُّكْرِ وَالصَّبْرِ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ، فَقَالَ: «هُمَا فِي مَحَلِّ الاسْتِوَاءِ؛ فَالشُّكْرُ مَطِيَّةُ السَّرَّاءِ، وَالصَّبْرُ فَرِيضَةُ الضَّرَّاءِ، قَالَ: وَقِيلَ: الصَّبْرُ أَسْنَىٰ الأَمْرَيْنِ، لِأَنَّ الشُّكْرَ اسْتِجْلَابٌ وَاسْتِدْعَاءٌ، وَالصَّبْرَ اسْتِكْفَاءٌ وَارْتِضَاءٌ، وَمَوْضِعُ الرِّضَا يَفْضُلُ مَوْضِعَ الدُّعَاءِ ...»[٣].

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي كِتَابِ الكَبَائِرِ:

«أَجْمَعُ سَبْعُونَ رَجُلاً مِنَ التَّابِعِيْنَ، وَأَئِمَّةِ المُسْلِمِيْنَ، وَالسَّلَفِ، وَفُقَهَاءِ الأَمْصَارِ، عَلَىٰ أَنَّ السُّنَّةَ الَّتِي تُوُفِّيَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَوَّلُهَا: الرِّضَا بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، وَالتَّسْلِيْمُ لِأَمْرِهِ، وَالصَّبْرُ تَحْتَ حُكْمِهِ، وَالأَخْذُ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَالنَّهْيُ عَمَّا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ، وَإِخْلَاصُ العَمَلِ

(١) ذَكَرَهُ ابْن تَيْمِيَة فِي «الاسْتِقَامَةُ» (٢/ ٨٤) وَقَالَ: «هَذَا الكَلَام كَلَامٌ حَسَنٌ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ إِسْنَادَهُ، «الاسْتِقَامَةُ» (٢/ ٨١).

(٢) «الاسْتِقَامَةُ» (٢/ ٨١).

(٣) «شُعَبُ الإِيْمَانِ» لِلبَيْهَقِيِّ (٣/ ١٠٧).



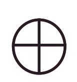
لله، وَالإِيْمَانُ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَتَرْكُ المِرَاءِ، والجِدَالِ، والخُصُومَاتِ في الدِّيْنِ ... »[١] أ هـ.

وَمِمَّا قِيلَ فِي فَضْلِ الرِّضَا بِالقَضَاءِ:

وَمَا لِيَ مِنْ عَبْدٍ وَلَا مِنْ وَلِيْدَةٍ وَإِنِّي لَفِيْ فَضْلٍ مِنَ اللهِ وَاسِعِ
بِنِعْمَةِ رَبِّي مَا أُرِيْدُ مَعِيْشَةً سِوَىٰ قَصْدِ حَالٍ مِنْ مَعِيْشَةٍ قَانِعِ
وَمَنْ يَجْعَلِ الرَّحْمَنُ فِي قَلْبِهِ الرِّضَا يَعِشْ فِي غِنَىً مِنْ طَيِّبِ العَيْشِ وَاسِعِ
إِذَا كَانَ دِيْنِي لَيْسَ فِيْهِ غَمِيْزَةٌ وَلَمْ أَشْرِهِ فِي بَعْضِ تِلْكَ المَطَامِعِ
وَلَمْ أَبْتَعِ الدُّنْيَا بِدِيْنٍ أَبِيْعُهُ وَبَائِعُ دِيْنِ اللهِ مِنْ شَرِّ بَائِعِ
وَلَمْ تَشْتَمِلْنِي مُرْدِيَاتٌ مِنَ الهَوَى وَلَمْ أَتَخَشَّعْ لِأَمْرِئٍ ذِي بَضَائِعِ
جَمُوعٍ لِشَرِّ المَالِ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ ضَنِيْنٍ بِقَوْلِ الحَقِّ لِلزُّوْرِ رَاتِعِ[٢]

---

(١) «تَارِيْخُ ابْنِ مَعِيْنٍ بِرِوَايَةِ الدُّورِيِّ» (٤/ ٤٠٦).
(٢) «الشَّقَائِقُ النُّعْمَانِيَّةُ، والعِقْدُ المَنْظُومُ» (٢/ ٣٤٠).


٥٤





الفَصْلُ الثَّاني
مَتى يكُونُ الرِّضا ؟

الرِّضا لا يَكونُ إِلَّا بَعْدَ القَضاءِ :

وَقالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- :

أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سَأَلَ اللَّهَ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ . كَمَا فِي الْمُسْنَدِ: « **وَالسُّنَنِ اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ ، وَقُدْرَتِكَ عَلَىٰ الْخَلْقِ ، أَحْيِنِي إِذَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي ، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي ، وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ . وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَىٰ ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ الْكَرِيمِ ، وَأَسْأَلُكَ الشَّوْقَ إِلَىٰ لِقَائِكَ ، فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ** »[(١)].

فَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَةَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ- يَقُولُ : سَأَلَهُ

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٨٣٥١) ، وَالنَّسَائِيُّ (١٣٠٥) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «مِشْكَاةِ المَصَابِيحِ» (٢٤٩٧) .



٥٥

الرِّضَا بَعْدَ القَضَاء ، لأَنَّهُ حِينَئذٍ تَبيَّنَ حَقِيْقَةُ الرِّضَا ، وَأَمَّا الرِّضَا قَبْلَهُ : فَإِنَّمَا هُوَ عَزْمٌ عَلَىٰ أَنَّهُ يَرْضَىٰ إِذَا أَصَابَهُ ، وَإِنَّمَا يَتَحَقَّقُ الرِّضَا بَعْدَه [(١)] .

قَالَ أَبُو سَعِيْدٍ الخَزَّازُ -رَحِمَهُ اللهُ - : « الرِّضَا قَبْلَ القَضَاءِ تَفْوِيضٌ ، وَالرِّضَا بَعْدَ القَضَاءِ تَسْلِيْمٌ » [(٢)].

وَقِيْلَ : « ثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِ الرِّضَا : تَرْكُ الاخْتِيَارِ قَبْلَ القَضَاءِ، وَفُقْدَانُ المَرَارَةِ بَعْدَ القَضَاءِ ، وَهَيَجَانُ الحُبِّ فِي حَشْوِ البَلَاءِ » [(٣)] .

وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَةَ -رَحِمَهُ اللهُ- :

« وَلِهَذَا كَانَ طَائِفَةٌ مِنَ المَشَايِخِ يَعْزِمُونَ عَلَىٰ الرِّضَا :قَبْلَ وُقُوعِ البَلَاءِ، فَإِذَا وَقَعَ انْفَسَخَتْ عَزَائِمُهُمْ ، كَمَا يَقَعُ نَحْوُ ذَلِكَ فِي الصَّبْرِ وَغَيْرِهِ » [(٤)] .

وَاسْتَشْهَدَ بِعِدَّةِ آيَاتٍ مِنْهَا قَوْلُ اللهِ -تَعَالَىٰ -: ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٣] .

وَقَالَ -تَعَالَىٰ -: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الصف : ٢-٤] .

---

(١) « مَدَارِجُ السَّالِكِيْنَ » (٢/ ٢١٢) .

(٢) « شُعَبُ الإِيْمَانِ» لِلبَيْهَقِيِّ(١/ ٢١٧) .

(٣) « مَدَارِجُ السَّالِكِيْنَ » (٢/ ١٧٧) .

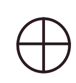
(٤) « فَتَاوَىٰ ابْنِ تَيْمِيَةَ » (١٠/ ٣٧٠) .




وَهَذِهِ الآيَةُ نَزَلَتْ فِي أُنَاسٍ مِنَ المُؤْمِنِيْنَ ، تَمَنَّوا مَعْرِفَةَ أَحَبِّ الأَعْمَالِ، وَأَفْضَلِهَا ، لِيَعْمَلُوا لَهَا ، فَلَمَّا أَخْبَرَ اللهُ نَبِيَّهُ بِذَلِكَ ، قَصَّرُوا فِي ذَلِكَ ، فَعُوتِبُوا[1] .



(١) انْظُرْ : « تَفْسِيْرَ الطَّبَرِيِّ » (٢٨/ ٨٣-٨٤) ، و « تَفْسِيْرَ ابْنِ كَثِيْرٍ » (٤/ ٣٥٨) .

٥٨




الفَصْلُ الثَّالِثُ
الصِّلَةُ بَيْنَ الرِّضَا وَالتَّوكُّلِ

التَّوَكُّلِ مِنَ مَقَامَاتِ المُؤْمِنِيْنَ لاَ انْفِكَاكَ لِلمُؤْمِنِ مِنْهُ ، وَالرِّضَا أَعَلَىٰ دَرَجَاتِ التَّوَكُّلِ ، بَلْ هُوَ بَابُ اللهِ الأَعْظَمُ ، كَمَا قِيْلَ ، وَجَنَّةُ الدُّنْيَا ، وَمُسْتَرَاحُ العَابِدِيْنَ وَنَعِيْمُهُمْ ، وَحَيَاةُ المُخْبِتِيْنَ ، وَقُرَّةُ عُيُونِ المُشْتَاقِيْنَ [١].

فَالرِّضَا ثَمَرَةُ التَّوَكُّلِ ، والتَّوكُّلُ نِصْفُ الإِيْمَانِ ، وَهُمَا مِنْ أَعْلَىٰ مَقَامَاتِ الإِحْسَانِ الَّتِي هِيَ أَعْلَىٰ المَنْدُوبَاتِ [٢].

وَقَدْ قِيْلَ : إِنَّ حَقِيْقَةَ التَّوَكُّلِ : الرِّضَا ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ ثَمَرَتَهُ ، وَمُوجِبَهُ ، اسْتَدَلَّ لَهُ عَلَيْهِ اسْتَدَلالاً بالأَثَرِ عَلَىٰ المُؤَثِّرِ ، وَبالمَعْلُولِ عَلَىٰ العِلَّةِ ، لَا أَنَّ التَّوَكُّلَ هُوَ الرِّضَا ، أَوْ الرِّضَا التَّوَكُّلِ [٣].

وَقَدْ سُئِلَ أَبُو بَكْرِ الوَاسِطِيُّ عَنْ مَاهِيَّةِ التَّوَكُّلِ ، قَالَ : « الصَّبْرُ عَلَىٰ طَوَارِقِ المِحَنِ، ثُمَّ التَّفْوِيْضُ ، ثُمَّ التَّسْلِيْمُ ، ثُمَّ الرِّضَا ، ثُمَّ الثِّقَةُ » [٤] .

---

(١) « فَتَاوَىٰ ابْنِ تَيْمِيَةَ » (١٧/ ٢٧) ، وَ« الفَوَائِدُ » لابْنِ القَيِّمِ (١/ ٩٣) .
(٢) « التَّوَكُّلُ عَلَـىٰ الله » د. سَالِمِ القَرْنِي ، ص (٤٢/ ٨٦) .
(٣) « طَرِيْقُ الهِجْرَتَيْـنِ » (١/ ٥٠٠) ، وَ« مَدَارِجُ السَّالِكِيْـنَ » (٢/ ١٧٤) ، وَ«شِفَاءُ العَلِيْل» (ص٢٧٨) ، وَ« فَتَاوَىٰ ابْنِ تَيْمِيَةَ » (١٧/ ٢٧) .
(٤) « شُعَبُ الإِيْمَانِ» لِلبَيْهَقِيِّ(٢/ ١١٠) .




وَقَالَ -تَعَالَىٰ-: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [التَّوْبَةُ: ٥٩].

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ:

«فَتَضَمَّنَتْ هَذِهِ الآيَةُ الكَرِيمَةُ أَدَبًا عَظِيمًا، وَسِرًّا شَرِيفًا، حَيْثُ جَعَلَ الرِّضَا بِمَا آتَاهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آلَ عِمْرَان: ١٧٣]، وَكَذَلِكَ الرَّغْبَةُ إِلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ فِي التَّوْفِيقِ لِطَاعَةِ الرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَتَرْكِ زَوَاجِرِهِ، وَتَصْدِيقِ أَخْبَارِهِ، والاقْتِضَاءِ بِآثَارِهِ»[١].

فَعَلَىٰ هَذَا لَا بُدَّ مِنْ فِعْلِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَتَرْكِ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ، فِي التَّوَكُّلِ وَالرِّضَا، وَمَنْ قَالَ فِيهِمَا بِتَرْكِ الأَسْبَابِ، وَالرُّكُونِ إِلَىٰ مُسَبِّبِ الأَسْبَابِ، فَقَدْ طَعَنَ فِي سُنَّةِ الرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، - كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ - فِي فَصْلِ الرِّضَا، وَفِعْلِ الأَسْبَابِ».

وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَةَ -رَحِمَهُ اللهُ-:

«وَالرِّضَا وَالتَّوَكُّلُ يَكْتَنِفَانِ المَقْدُورَ، فَالتَّوَكُّلُ قَبْلَ وُقُوعِهِ، وَالرِّضَا بَعْدَ وُقُوعِهِ»[٢].

---

(١) «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ» (٢/ ٣٦٤).
(٢) «فَتَاوَىٰ ابْنِ تَيْمِيَةَ» (١٠/ ٣٧٠).

وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ فِي الصَّلَاةِ مَا رُوِيَ عَن الصَّحَابِيِّ الجَلِيْلِ : عَمَّارِ بْنِ يَاسِر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ فِي الصَّلَاةِ : « **اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ ، وَبِقُدْرَتِكَ عَلَىٰ الخَلْقِ ، أَحْيِنِي إِذَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي ، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الحَقِّ فِي الغَضَبِ وَالرِّضَا ، وَأَسْأَلُكَ القَصْدَ فِي الفَقْرِ وَالغِنَىٰ ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ القَضَاءِ ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ العَيْشِ بَعْدَ المَوْتِ ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ الكَرِيمِ ، وَأَسْأَلُكَ الشَّوْقَ إِلَىٰ لِقَائِكَ ، فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيْمَانِ ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ** » [١] .

قَالَ بَعْضُهُمْ فِي مَعْنَىٰ قَوْلِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **أَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ** » فَقَالَ: لِأَنَّ الرِّضَا قَبْلَ الْقَضَاءِ عَزْمٌ عَلَىٰ الرِّضَا ، وَالرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ هُوَ الرِّضَا » [٢] .

وَقَالَ أَبُو سَعِيْدٍ الخَزَّازُ : « الرِّضَا قَبْلَ الْقَضَاءِ تَفْوِيْضٌ ، وَالرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ تَسْلِيْمٌ » [٣] .

---

(١) «صَحِيْحٌ » أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ فِي المُسْتَدْرَكِ (١/ ٦٩٧)، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيْحِهِ» (٥/ ٣٠٥)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي (صَحِيْحِ الجَامِعِ) (١٣٠١) .

(٢) « مَدَارِجُ السَّالِكِيْنَ » (٢/ ١٧٧) .

(٣) « شُعَبُ الإِيْمَانِ» لِلبَيْهَقِيِّ (١/ ١١٧) .

وكَمَا وَرَدَ فِي الدُّعَاءِ الاسْتِخَارَةِ : « **وَاقْدُرْ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ** » [١] .

فَالرِّضَا إِنَّمَا يَأْتِي بَعْدَ الاسْتِعَانَة ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللهِ ؛ لِأَنَّ اليَقِينَ الَّذِي لَمْ يَقَعْ لَيْسَ بِرِضًا ، وَإِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ وُقُوعِ المَقْضِيِّ ، وَأَمَّا قَبْل وُقُوعِهِ فَاسْتِعَانَةٌ وتَوَكُّلٌ فَقَطْ ، فَمَنْ بَلَغَ الرِّضَا فَلَا شَكَّ أَنَّهُ اسْتَعَانَ بِاللهِ وتَوَكَّلَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ اسْتَعَانَ بِاللهِ وتَوَكَّلَ عَلَيْهِ فَقَدْ بَلَغَ الرِّضَا [٢] .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٣٨٢) .

(٢) انْظُرْ : « التَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللهِ » د. سَالِم القَرْنِي ص (٨٧) .

٦٢




البَابُ الرَّابِعُ
أَسْبَابُ الرِّضَا وَمَا يُضَادُّهُ

الفَصْلُ الأَوَّلُ
أَسْبَابُ حُصُولِ الرِّضَا

وَتَحْتَهُ سِتَّةَ عَشَرَ مَبْحَثًا :

المَبْحَثُ الأَوَّلُ : العِلْمُ .

المَبْحَثُ الثَّانِي : مَعْرِفَةُ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ .

المَبْحَثُ الثَّالِثُ : الرِّضَا بِرُبُوبِيَّةِ اللهِ .

المَبْحَثُ الرَّابِعُ : مَعْرِفَةُ عَظَمَةِ اللهِ .

المَبْحَثُ الخَامِسُ : العِلْمُ بِأَنَّ الخَيْرَ كُلُّهُ فِيمَا اخْتَارَهُ اللهُ.

المَبْحَثُ السَّادِسُ : مَعْرِفَةُ أَنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ فِي كَبَدٍ .

المَبْحَثُ السَّابِعُ : مَعْرِفَةُ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ ابْتِلَاءٍ .

المَبْحَثُ الثَّامِنُ : مَعْرِفَةُ عَوَائِقِ الطَّرِيْقِ .

المَبْحَثُ التَّاسِعُ : مَعْرِفَةُ أَنَّ شَدَائِدَ الدُّنْيَا حَلَاوَةُ الآخِرَةِ .

المَبْحَثُ العَاشِرُ : الحَمْدُ .




المَبْحَثُ الحَادِي عَشَر : الشُّكْرُ .

المَبْحَثُ الثَّاني عَشَر : الشَّوْقُ إِلَىٰ لِقَاءِ اللهِ .

المَبْحَثُ الثَّالِثُ عَشَر : المُبَادَرَةُ إِلَىٰ طَاعَاتِ اللهِ .

المَبْحَثُ الرَّابِعُ عَشَر : مَعْرِفَةُ مَشَاهِدِ المَقْدُورِ والمَكْرُوهِ .

المَبْحَثُ الخَامِسُ عَشَر : مُجَالَسَةُ العُلَمَاءِ .

المَبْحَثُ السَّادِسُ عَشَر : تَوْطِيْنُ النَّفْسِ عَلَىٰ الرِّضَا .

الفَصْلُ الثَّاني
مَا يُنَافِي الرِّضَا

وَتَحْتَهُ خَمْسَةُ عَشَرَ مَبْحَثًا :

المَبْحَثُ الأَوَّلُ : السَّخَطُ .

المَبْحَثُ الثَّاني : الاعْتِرَاضُ عَلَىٰ قَضَاءِ اللهِ الشَّرْعِيِّ .

المَبْحَثُ الثَّالِثُ : سُوءُ الظَّنِّ باللهِ .

المَبْحَثُ الرَّابِعُ : ضَعْفُ التَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ .

المَبْحَثُ الخَامِسُ : التَّحَسُّرُ عَلَىٰ مَا فَاتَ .

المَبْحَثُ السَّادِسُ : الشَّكْوَىٰ لِلنَّاسِ .

المَبْحَثُ السَّابِعُ : تَسَخُّطُ البَنَاتِ .





المَبْحَثُ الثَّامِنُ : النِّيَاحَةُ .

المَبْحَثُ التَّاسِعُ : الحِقْدُ .

المَبْحَثُ العَاشِرُ : الحَسَدُ .

المَبْحَثُ الحَادِي عَشَر : اليَأْسُ .

المَبْحَثُ الثَّانِي عَشَر : تَمَنِّي المَوْتَ بِسَبَبِ الضُّرِّ أَوْ البَلَاءِ .

المَبْحَثُ الثَّالِثُ عَشَر : سُؤَالُ النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ .

المَبْحَثُ الرَّابِعُ عَشَر : عَدَمُ الرِّضَا بِالمَقْسُوم مِنَ الرِّزْقِ.

المَبْحَثُ الخَامِسُ عَشَر : قَوْلُ [لَوْ] بَعْدَ المُصِيبَةِ .

الفَصْلُ الثَّالِثُ
مَا لَا يُنَافِي الرِّضَا

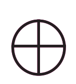
وَتَحْتَهُ مَبْحَثَان :

المَبْحَثُ الأَوَّلُ : التَّأَلُّمُ مِنَ الأَمْرَاضِ وَالأَوْجَاعِ .

المَبْحَثُ الثَّانِي : الدُّعَاءُ بِرَفْعِ الضُّرِّ .







٦٦



البَابُ الرَّابعُ
أَسْبَابُ الرِّضَا وَمَا يُضَادُّهُ

الفَصْلُ الأَوَّلُ
أَسْبَابُ حُصُولِ الرِّضَا

١ - العِلْمُ :

وَمِنْ أَسْبَابِ حُصُولِ الرِّضَا العِلْمُ ؛ فَكُلَّمَا زَادَ عِلْمُكَ زَادَ رِضَاكَ عَنِ اللهِ -تَعَالَىٰ - ، وَكَلَّمَا قَلَّ عِلْمُكَ قَلَّ رِضَاكَ عَنِ اللهِ -تَعَالَىٰ- .

وَالعِلْمُ المَقْصُودُ هُوَ العِلْم باللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَهَذَا هُوَ العِلْمُ الَّذي يَدُلُّكَ عَلَىٰ اللهِ ، وَكَيْفَ تُرْضِي رَبَّكَ ؟! ، وَكَيْفَ تَكُونُ مِنَ الشَّاكِرِيْنَ ؟! ، وَهُوَ العِلْم الَّذِي يَرْفَعُ اللهُ أَهْلَهُ ! .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ ﴾ [آلَ عِمْرَانَ : ١٨] .

بَدَأَ بِنَفْسِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - وَثَنَّىٰ بِمَلاَئِكَتِهِ ، وَثَلَّثَ بِأُولِي ا العِلْمِ .

وقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ - : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ




ﭐلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ ﴾ [المُجادَلَة : ١١] .

وقَالَ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ ﴾ [فَاطِرُ : ٢٨] .

وَالعِلْمُ مِنْ أَفْضَلِ الأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ، قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰاللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **فَضْلُ العَالِمِ عَلَىٰ العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَىٰ أَدْنَاكُمْ ، إِنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّىٰ النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّىٰ الحُوْتَ لَيُصَلُّونَ عَلَىٰ مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ** » (١) .

وقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰاللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **فَضْلُ العِلْمِ** (٢) **أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فَضْلِ العِبَادَةِ** » (٣) .

بَلْ إِنَّ العِلْمَ لَأَفْضَلُ مِنْ كَنْزِ الدُّنْيَا ؛ لأَنَّهُ طَرِيْقٌ إِلَىٰ الخَيْرِ ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰاللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللهِ وَمَا وَالاهُ وَعَالِمًا وَمُتَعَلِّمًا** » (٤) .

وقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰاللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي**

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرمِذْيُّ (٢٦٨٥) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «المِشْكَاةِ» مِنْ حَدِيْثُ أَبِي أُمَامَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَ (صَحِيْحِ الجَامِعِ) (٤٢١٣) .
(٢) فَضْلُ العِلْمِ : الفَضْلُ : الزِّيَادَةُ ، وَالمَعْنَىٰ زِيَادَةُ العِلْمِ أَحَبُّ إِلَـيَّ مِنْ زِيَادَةِ العِبَادَةِ .
(٣) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرِكِهِ» (٣١٤) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي (صَحِيْحِ الجَامِعِ) (٤٢١٤) .
(٤) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ التِّرمِذْيُّ (٢٣٢٢) ،وابْنُ مَاجَهْ (٤١١٢)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي (صَحِيْحِ الجَامِعِ) (٢٦٠٩) .

الدِّيْنِ »[١] .

وَأَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالازْدِيَادِ مِنَ العِلْمِ فَقَالَ -عَزَّ وَجَلَّ- : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه:١١٤] .

وَهَذِهِ الآيَةُ بُرْهَانٌ وَاضِحٌ عَلَىٰ فَضْلِ العِلْمِ؛ لِأَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لَمْ يَأْمُرْ نَبِيَّهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « بِطَلَبِ الازْدِيَادِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنَ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ الَّذِي يُفِيْدُ مَعْرِفَةَ مَا يَجِبُ عَلَىٰ المُكَلَّفِ »[٢] .

اُطْلبِ العِلْمَ وَلاَ تَكْسَلْ فَمَا ... أَبْعَدَ الخَيْرَ عَلَىٰ أَهْلِ الكَسَلْ

وَاهْجُرِ النَّوْمَ وَحَصِّلْهُ فَمَنْ ... يَعْرِفِ المَطْلُوبَ يَحْقِرْ مَا بَذَلْ

لاَ تَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَرْبَابُهُ ... كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَىٰ الدَّرْبِ وَصَلْ[٣]

٢- مَعْرِفَةُ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ :

وَمِمَّا يُعِيْنُ عَلَىٰ الرِّضَا مَعْرِفَةُ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ، وَالتَّدَبُّرُ فِيْهَا ، وَعَقْلُ مَعَانِيْهَا ، وَاسْتِشْعَارُهَا وَتَطْبِيقُهَا فِي الوَاقِعِ .

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- :

وَعَقْدُ هَذَا : أَنْ يَشْهَدَ قَلْبُكَ الرَّبَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مُسْتَوِيًا عَلَىٰ عَرْشِهِ، مُتَكَلِّمًا بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، بَصِيرًا بِحَرَكَاتِ الْعَالَمِ عُلْوِيِّهِ وَسُفْلِيِّهِ، وَأَشْخَاصِهِ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٩) ، ومُسْلِمٌ (١٠٣٧) .
(٢) « فَتْحُ البَارِيْ» (١/ ١٤١) .
(٣) « دِيْوَانُ ابْنِ مُشَـرَّفٍ» (٣٢٣) .

وَذَوَاتِهِ، سَمِيعًا لِأَصْوَاتِهِمْ، رَقِيبًا عَلَى ضَمَائِرِهِمْ وَأَسْرَارِهِمْ، وَأَمْرُ الْمَمَالِكِ تَحْتَ تَدْبِيرِهِ، نَازِلٌ مِنْ عِنْدِهِ وَصَاعِدٌ إِلَيْهِ، وَأَمْلَاكُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ تُنَفِّذُ أَوَامِرَهُ فِي أَقْطَارِ الْمَمَالِكِ، مَوْصُوفًا بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، مَنْعُوتًا بِنُعُوتِ الْجَلَالِ، مُنَزَّهًا عَنِ الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ وَالْمِثَالِ، هُوَ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَفَوْقَ مَا يَصِفُهُ بِهِ خَلْقُهُ، حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لَا يَنَامُ، عَلِيمٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ، بَصِيرٌ يَرَىٰ دَبِيبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ، عَلَىٰ الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ، سَمِيعٌ يَسْمَعُ ضَجِيجَ الْأَصْوَاتِ، بِاخْتِلَافِ اللُّغَاتِ، عَلَىٰ تَفَنُّنِ الْحَاجَاتِ، تَمَّتْ كَلِمَاتُهُ صِدْقًا وَعَدْلًا [٤].

تَبَارَكَ فَهُوَ الَّذِي جَلَّ جَلَالُهُ	جَوَادٌ كَرِيمٌ كَامِلٌ لَا يُمَثَّلُ
يَسُحُّ مِنَ الْخَيْرَاتِ سُحًّا عَلَىٰ الْوَرَى	فَيُغْنِي وَيُقْنِي -دَائِمًا- وَيُخَوِّلُ
تَجِلُّ عَنِ الْأَوْصَافِ عِزَّةُ ذَاتِهِ	أَعَزُّ مِنَ الْأَوْصَافِ أَعَلَىٰ وَأَكْمَلُ
إِذَا أَكْثَرَ الْمُثْنَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الثَّنَا	فَذُو الْعَرْشِ أَعْلَا فِي الْجَلَالِ وَأَجْمَلُ

٣- الرِّضَا بِرُبُوبِيَّةِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-:

وَمِنْ أَسْبَابِ حُصُولِ الرِّضَا بِرُبُوبِيَّةِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، فَالرِّضَا بِرُبُوبِيَّةِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- مُتَضَمِّنٌ الرِّضَا بِتَدْبِيرِهِ، وَتَقْدِيرِهِ، وَأَنَّ مَا أَصَابَ الْعَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَإِذَا رَضِيَ

(٤) «مَدَارِجُ السَّالِكِينَ» (١/ ١٤٤).

العَبْدُ بِرُبُوبِيَّتِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وَبِأُلُوهِيَّتِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وَآمَنَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَقَامَ بِحَقِّ عُبُودِيَّتِهِ، فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَإِذَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَرْضَاهُ، وَكَفَاهُ، وَحَفِظَهُ، وَرَعَاهُ وَذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ؛ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً**»(١).

٤- مَعْرِفَةُ عَظَمَةِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-:

وَمِنْ أَسْبَابِ حُصُولِ الرِّضَا أَنْ يَتَعَارَفَ الإِنْسَانُ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ عَظَمَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ-(٢).

وَأَنْ يَعْرِفَ أَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- هُوَ الخَالِقُ وَحْدَهُ، لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿**وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ**﴾ [الرَّعْدُ: ٤١].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [القَصَصُ: ٦٨].

وَقَالَ نُوحٌ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لِقَوْمِهِ كَمَا حَكَىٰ اللهُ عَنْهُ: ﴿**مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾**﴾ [نُوحٌ: ١٣-١٤].

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٥) عَنِ العَبَّاسِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.
(٢) انْظُرْ غَيْرَ مَأْمُورٍ كِتَابِي «عَظَمَةُ اللهِ» فَفِيهِ مَا يَكْفِي الغُلَّةَ وَيَشْفِي العِلَّةَ -إِنْ شَاءَ اللهُ-.

لَكَ الحَمْدُ وَالعَلْيَاءُ والمَجْدُ رَبَّنَا فَلَا شَيْءَ أَعْلَىٰ مِنكَ مَجْدًا وَأَمْجَدُ
مَلِيْكٌ عَلَىٰ عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيْمِنٌ لِعِـزَّتِهِ تَعْلُو الوُجُوهُ وَيَسْجُدُ
سُبْحَانَ مَنْ لاَ يَعْرِفُ الخَلْقُ قَدْرَهُ وَمَنْ هُوَ فَوْقَ العَرْشِ فَرْدٌ مُوَحَّدُ

٥- العِلْمُ أَنَّ الخَيْرَ كُلَّهُ فِيْمَا اخْتَارَهُ اللّٰهُ :

وَمِمَّا يُعِيْنُ عَلَىٰ الرِّضَا مَعْرِفَةُ أَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لاَ يَخْتَارُ لَكَ إِلَّا الخَيْرَ ، فَعِنْدَمَا تَنْظُرُ إِلَىٰ كُلِّ أَقْدَارِ حَيَاتِكَ عَلَىٰ أَنَّهَا مِنْ اخْتِيَارَاتِ اللهِ وَتَشْعُرُ بِالرِّضَا عَنْهَا وَعَنْ رِزْقِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ رَضِيَ عَنْكَ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**» [(١)] .

وَمِنْ طَرِيْفِ مَا يُذْكَرُ عَنِ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ - رَحِمَهُ اللهُ - أَنَّهُ كَانَ مَاشِيًا فَإِذَا بِرَجُلٍ يَسْبِقُهُ يُنَاجِي رَبَّهُ وَيَقُولُ : يَا رَبِّ هَلْ أَنْتَ رَاضٍ عَنِّيْ ؟!! .

فَقَالَ الشَّافِعِيِّ - رَحِمَهُ اللهُ - : يَا رَجُلُ ! ، وَهَلْ أَنْتَ رَاضٍ عَنِ اللهِ حَتّىٰ يَرْضَىٰ اللهُ عَنْكَ ؟! .

فَقَالَ : كَيْفَ أَرْضَىٰ عَنْ رَبِّي وَأَنَا أَتَمَنَّىٰ رِضَاهُ ؟.

قَالَ : إِذَا كَانَ سُرُورُكَ بِالنِّقْمَةِ كَسُرُورِكَ بِالنِّعْمَةِ ، فَقَدْ رَضِيْتَ عَنِ اللهِ».

---

(١) (حَسَنٌ صَحِيْحٌ) رَوَاهُ التِّرمِذْيُّ (٢٣٩٦) ، وَقَالَ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي (صَحِيْحِ الجَامِعِ) (٢١١٠) حَسَنٌ صَحِيْحٌ .



وَقَالَ ابْنُ نَاصِرِ الدِّيْنِ -رَحِمَهُ اللَّه -:

يَجْرِي القَضَاءُ وَفِيْهِ الخَيْرُ نَافِلَةً ... لِمُؤْمِنٍ وَاثِقٍ بِاللهِ لاَ لاَهِيْ

إِنْ جَاءَهُ فَرَحٌ أَوْ نَابَهُ تَرَحٌ ... فِي الحَالَتَيْنِ يَقُولُ : الحَمْدُ للهِ

٦- مَعْرِفَةُ أَنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ فِي كَبَدٍ :

وَمِمَّا يُعِيْنُ عَلَىٰ الرِّضَا مَعْرِفَةُ أَنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ فِي كَبَدٍ، فَالإِنْسَانُ فِي مَشَقَّةٍ وَعَنَاءٍ مِنْ حِيْنِ يُوْلَدُ إِلَىٰ أَنْ يَسْتَقِرَّ بِهِ القَرَارُ إِمَّا إِلَىٰ الجَنَّةِ وَإِمَّا فِي النَّارِ .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ [البَلَدُ: ٤].

قَالَ القُرْطُبِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- :

« قَالَ عُلَمَاؤُنَا : أَوَّلُ مَا يُكَابِدُ قَطْعَ سُرَّتِهِ ، ثُمَّ إِذَا قُمِّطَ قِمَاطًا ، وَشُدَّ رِبَاطًا، يُكَابِدُ الضِّيْقَ والتَّعَبَ ، ثُمَّ يُكَابِدُ الارْتِضَاعَ ، وَلَو فَاتَهُ لَضَاعَ ، ثُمَّ يُكَابِدُ نَبْتَ أَسْنَانِهِ ، وَتَحَرُّكَ لِسَانِهِ ، ثُمَّ يُكَابِدُ الفِطَامَ ، الَّذِي هُوَ أَشَدُّ مِنَ اللِّطَامِ ، ثُمَّ يُكَابِدُ الخِتَانَ ، وَالأَوْجَاعَ والأَحْزَانَ ، ثُمَّ يُكَابِدُ المُعَلِّمَ وَصَوْلَتَهُ، والمُؤَدِّبَ وَسِيَاسَتَهُ ، وَالأُسْتَاذَ وَهَيْبَتَهُ ، ثُمَّ يُكَابِدُ شُغْلَ التَّزْوِيْجِ والتَّعَجُّلَ فِيْهِ، ثُمَّ يُكَابِدُ شُغْلَ الأَوْلاَدِ ، والخَدَمِ والأَجْنَادِ ، ثُمَّ يُكَابِدُ شُغْلَ الدُّورِ ، وَبِنَاءَ القُصُورِ ، ثُمَّ الكِبَرَ والهَرَمَ ، وَضَعْفَ الرُّكْبَةِ والقَدَمِ ، فِي مَصَائِبَ يَكْثُرُ تَعْدَادُهَا ، وَنَوائِبَ يَطُولُ إِيْرَادُهَا ، مِنْ صُدَاعِ الرَّأْسِ ، وَوَجَعِ الأَضْرَاسِ، وَرَمَدِ العَيْنِ ، وَغَمِّ الدَّيْنِ ، وَوَجَعِ السِّنِّ ، وَأَلَمِ الأُذُنِ .




وَيُكَابِدُ مِحَنًا في المَالِ والنَّفْسِ، مِثْلِ الضَّرْبِ والحَبْسِ، وَلاَ يَمْضِي عَلَيْهِ يَوْمٌ إِلَّا وَيُقَاسِي فِيْهِ شِدَّةً، وَلاَ يُكَابِدُ إِلَّا مَشَقَّةً، ثُمَّ المَوْتُ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّه، ثُمَّ مَسْأَلَةُ المَلَكِ، وَضَغْطَةُ القَبْرِ وَظُلْمَتُهُ، ثُمَّ البَعْثُ والعَرْضُ عَلَىٰ اللهِ إِلَىٰ أَنْ يَسْتَقِرَّ بِهِ القَرَارُ، إِمَّا فِي جَنَّةٍ وَإِمَّا فِي نَارٍ؛ قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ [البَلَدُ: ٤]، فَلَوْ كَانَ الأَمْرُ إِلَيْهِ لَمَا اخْتَارَ هَذِهِ الشَّدَائِدَ، وَدَلَّ هَذَا عَلَىٰ أَنَّ لَهُ خَالِقًا دَبَّرَهُ، وَقَضَىٰ عَلَيْهِ بِهَذِهِ الأَحْوَالِ؛ فَلْيَمْتَثِلْ أَمْرَهُ» (١).

وَالمَرْءُ رَهْنُ مَصَائِبٍ مَا تَنْقَضِي ... حَتَّىٰ يُوَسَّدُ جِسْمُهُ فِي رَمْسِهِ
فَمُؤَجَّلٌ يَلْقَىٰ الرَّدَىٰ فِي غَيْرِهِ ... وَمُعَجَّلٌ يَلْقَىٰ الرَّدَىٰ فِي نَفْسِهِ

٧- مَعْرِفَةُ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ ابْتِلَاءٍ:

وَمِمَّا يُعِينُ عَلَىٰ الرِّضَا مَعْرِفَةُ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ ابْتِلَاءٍ وامْتِحَانٍ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَتْ الجَنَّةُ طَيِّبَةً لاَ يَدْخُلُهَا إِلَّا مَنْ كَانَ طَيِّبًا، واللهُ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، جَرَتْ سُنَّةُ اللهِ فِي عِبَادِهِ الابْتِلاَءُ بِالمَصَائِبِ والمِحَنِ لِيَتَمَيَّزَ الصَّادِقُ مِنَ الكَاذِبِ، كَمَا قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العَنْكَبُوتُ: ٢-٣].

(١) «تَفْسِيرُ القُرْطُبِيِّ» (٢٠/ ٦٣).

قَالَ اللهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ –: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٧٩].

فَالإِنْسَانُ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا لاَ يَنْفَكُّ عَنِ الابْتِلاَءِ .

قَالَ اللهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ –: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البَقَرَةُ: ٢١٤].

قَالَ ابْنُ الجَوْزِيِّ -رَحِمَهُ اللهُ- :

« لَيْسَ فِي الدُّنْيَا أَشَدَّ بَلَهًا مِمَّنْ يُرِيْدُ مُعَامَلَةَ الحَقِّ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – عَلَىٰ بُلُوغِ الأَغْرَاضِ ، فَأَيْنَ تَكُونُ البَلْوَىٰ إِذَنْ ؟!! .

لاَ وَاللهِ ، بَلْ لاَ بُدَّ مِنِ انْعِكَاسِ المُرَادَاتِ ، وَمَنْ تَوَقُّفِ أَجْوِبَةِ السُّؤَالاَتِ، وَمِنْ تَشَفِّيْ الأَعْدَاءِ فِي أَوْقَاتٍ ، فَأَمَّا مَنْ يُرِيْدُ أَنْ تَدُومَ لَهُ السَّلاَمَةُ وَالنَّصْرُ عَلَىٰ مَنْ يُعَادِيْهِ ، وَالعَافِيَةُ مِنْ غَيْرِ بَلاَءٍ فَمَا عَرَفَ التَّكْلِيْفَ وَلاَ فَهِمَ التَّسْلِيْمَ »(١).

٨- مَعْرِفَةُ عَوَائِقِ الطَّرِيْقِ :

وَمِمَّا يُعِيْنُ عَلَىٰ الرِّضَا مَعْرِفَةُ عَوَائِقِ الطَّرِيْقِ .

أَخِي ؛ أَمَا أَتَاكَ خَبَرٌ عَنْ نَبِيِّكَ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يُذَكِّرُكَ بِعَوَائِقِ الطَّرِيْقِ وَأَعْرَاضِهَا ، وَأَنَّهُ مَتَىٰ سَلِمْتَ مِنْ عَرَضٍ نَهَشَكَ الآخَرُ وَأَنَّهُ لَيْسَ

(١) «صَيْدُ الخَاطِرِ» (٢١٥).

إِلَىٰ السَّلَامَةِ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ مِنْ سَبِيْلٍ ؟!! .

وَتَأَمَّلْ هَذَا الحَدِيْثَ الَّذِي يَرْوِيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : خَطَّ النَّبِيُّ -صَلَّىاللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَطًّا مُرَبَّعًا ، وَخَطَّ خَطًّا فِي الوَسَطِ خَارِجًا عَنْهُ ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَىٰ هَذَا الَّذِي فِي الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الوَسَطِ ، فَقَالَ : « **هَذَا الإِنْسَانُ وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيْطًا بِهِ - أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ- وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ ، وَهَذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا ، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا** »[1].

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللّهُ- :

« يَا مُخَنَّثَ العَزْمِ أَيْنَ أَنْتَ وَالطَّرِيْقُ ، طَرِيْقٌ تَعِبَ فِيْهَ آدَمُ ، وَنَاحَ لِأَجْلِهِ نُوحٌ، وَرُمِيَ فِي النَّارِ الخَلِيْلُ ، وَاضْطَجَعَ لِلذَّبْحِ إِسْمَاعِيْلُ ، وَبِيْعَ يُوسُفُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ، وَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِيْنَ ، وَنُشِرَ بِالمِنْشَارِ زَكَرِيَا ، وَذُبِحَ السَّيِّدُ الحَصُورُ يَحْيَىٰ ، وَقَاسَىٰ الضُّرَّ أَيُّوبُ ، وَزَادَ عَلَىٰ المِقْدَارِ بُكَاءُ دَاوُدَ، وَسَارَ مَعَ الوَحْشِ عِيسَىٰ ، وَعَالَجَ الفَقْرَ وَأَنْوَاعَ الأَذَىٰ مُحَمَّدٌ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تَرِهَا أَنْتَ بِاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ ؟!! »[2].

فَيَا دَارَهَا بِالحَزْنِ إِنَّ مَزَارَهَا قَرِيْبٌ وَلَكِنْ دُونَ ذَلِكَ أَهْوَالُ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٤١٨) .
(٢) «الفَوَائِدُ » (٥٤) .

٩- مَعْرِفَةُ أَنَّ شَدَائِدَ الدُّنْيَا حَلاوَةُ الآخِرَةِ :

وَمِمَّا يُعِيْنُ عَلَىٰ الرِّضَا مَعْرِفَتُكَ أَنَّ شَدَائِدَ الدُّنْيَا حَلَاوَةُ الآخِرَةِ فَشَدَائِدُ الدُّنْيَا سَحَابَةُ صَيْفٍ عَنْ قَرِيْبٍ تُقْشَعَ ، وَإِنَّمَا هِيَ أَيَّامٌ قَلائِلُ عَلَىٰ قَوْمٍ رَكْبٍ وُقُوفٍ يُوشِكُ أَنْ يُدْعَىٰ أَحَدُهُمْ فَيُجِيْبُ ، حَتَّىٰ إِذَا عَايَنَ النَّعِيْمَ وَصُبِغَ فِيْهِ صَبْغَةً فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا ؟، أَوْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ ، فَيَقُولُ: لاَ واللهِ يَارَبِّ!.

فَعَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«يُؤْتَىٰ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟! ، هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيْمٌ قَطُّ ؟، فَيَقُولُ : لاَ واللهِ يَارَبِّ ، يُؤْتَىٰ بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ ، فَيُصْبَغُ فِي الجَنَّةِ صَبْغَةً ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ ؟! ، هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ ؟، فَيَقُولُ: لاَ واللهِ يَارَبِّ ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ ، وَلاَ رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ »** [(١)] .

إِذَا اشْتَدَّتِ البَلْوَىٰ تُخَفَّفُ بِالرِّضَا ... عَنِ اللهِ قَدْ فَازَ الرَّاضِيُّ المُرَاقِبُ

وَكَمْ نِعْمَةٍ مُقْرُونَةٍ بِبَلِيَّةٍ ... عَلَىٰ النَّاسِ تَخْفَىٰ والبَلَايَا مَوَاهِبُ

١٠- الحَمْدُ :

وَمِنْ أَسْبَابِ حُصُولِ الرِّضَا الحَمْدُ قَبْلَ الطَّعَامِ وَبَعْدَهُ، فَعَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **« إِنَّ اللهَ لَيَرْضَىٰ عَنِ**

---

(١) « رَوَاهُ مُسْلِمٌ» (٢٨٠٧) .



العَبْدِ يأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا ، وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا » .

١١ - الشُّكْرُ :

وَمِنْ أَسْبَابِ حُصُولُ الرِّضَا الشُّكْرُ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - :﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الزُّمَرُ:٧].

فَعَلَّقَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - الرِّضَا بِشُكْرِهِمْ ، وَجَعَلَهُ مَجْزُومًا جَزَاءً لَهُ، وَجَزَاءُ الشَّرْطِ لاَ يَكُونُ إِلَّا بَعْدَهُ ، فَالشُّكْرُ سَبَبُ الحُصُولِ عَلَىٰ رِضَا اللهِ، وَالرِّضَا جَزَاءُ الشُّكْرِ [١] .

جَمِيعُ الثَّنَا والحَمْدِ بِالشُّكْرِ أَكْمَلُ ... وَلِلهِ مَجْمُوعَ الثَّلاَثَةِ أَجْعَلُ
وَأَشْكُرُهُ شُكْرًا كَثِيْرًا؛ لِأَنَّهُ ... مَقَرُّ الثَّنَا أَهْلٌ لَهُ مُتَأَهَّلُ

١٢ - الشَّوْقُ إِلَى لِقَاءِ اللّه :

وَمِنْ أَسْبَابِ الحُصُولُ عَلَىٰ الرِّضَا الشَّوْقُ إِلَىٰ لِقَاءِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - فَالشَّوْقُ يَحْمِلُ المُحِبَّ عَلَىٰ العَجَلَةِ فِي رِضَا المَحْبُوبِ،والمُبَادَرَةِ إِلَيْهِ عَلَىٰ الفَوْرِ ، وَلَوْ كَانَ فِيْهَا تَلَفُهُ كَمَا حَصَلَ مِنْ نَبِيِّ اللهِ مُوسَى- عَلَيْهِ السَّلَامِ- فِيمَا حَكَاهُ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - :﴿ ۞ وَمَآ

(١) «فَتَاوَىٰ ابْن تَيْمِيَة -رَحِمَهُ اللهُ- » (٦/ ٢٢٦) .



أَعَجِلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾ [طه: ٨٣-٨٤].

قَالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «أَرَادَ شَوْقًا إِلَيْكَ فَسَتَرَهُ بِلَفْظِ الرِّضَا»[1].

يَا عَاذِلَ الْمُشْتَاقِ دَعْهُ فَإِنَّهُ ... يَطْوِي عَلَىٰ الزَّفَرَاتِ غَيْرَ حَشَاكَ

لَوْ كَانَ قَلْبُكَ قَلْبَهُ مَا لُمْتَهُ ... حَاشَاكَ مِمَّا عِنْدَهُ حَاشَاكَ

وَقَالَ المُتَنَبِّي -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

لاَ تَعْذُلُ الْمُشْتَاقَ فِي أَشْوَاقِهِ ... حَتَّىٰ يَكُون حشَاكَ فِي أَحْشَائِهِ

إِنَّ الْمُحِبَّ مُضَرَّجًا بِدمُوعِهِ ... مِثْلُ الْقَتِيْلِ مُضَرَّجًا بِدِمَائِهِ[2]

١٣- المُبَادَرَةُ إِلَى طَاعَاتِ اللَّهِ:

وَمِنْ أَسْبَابِ الحُصُولِ علَىٰ الرِّضَا المُبَادَرَةُ إِلَىٰ طَاعَاتِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وَإِنْ اكْتَنَفَهَا مَشَقَّةٌ وَخَوْفٌ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ فَأَهْلُ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ الَّذِيْنَ بَادَرُوا وَتَسَابقُوا فِي نُصْرَةِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَنُصْرَةِ دِيْنِهِ، وَالإِخْلَاصِ فِي ذَلِكَ نَالُوا الرِّضَا مِنَ اللهِ لِمُبَادَرَتِهِمْ إِلَىٰ الطَّاعَاتِ.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ ۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ

(١) «رَوْضَةُ المُحِبِّيْنَ» (٤٣٧).

(٢) «دِيْوَانُ المُتَنَبِّي» (١/ ٥).

٧٩

﴿يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ۝١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةٗ يَأۡخُذُونَهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ۝١٩﴾

[الفَتْحُ : ١٨-١٩] .

وَعَنْ أُمِّ مُبَشِّرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ : « **لَا يَدْخُلُ النَّارَ - إِنْ شَاءَ اللهُ - مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ الَّذِيْنَ بَايَعُوا تَحْتَهَا** » (١) .

وَعَنْ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **... لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ : اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ** » (٢).

وَهَذَا كِنَايَةٌ عَنْ كَمَالِ الرِّضَا ، وَصَلاحِ الحَالِ ، وَتَوْفِيْقِهِمْ لِلخَيْرِ لَا لِلتَّرَخُّصِ فِي كُلِّ فِعْلٍ (٣).

بَادِر إِلَىٰ الخَيْـرِ يَا ذَا اللُّبِّ مُغْتَنِمًا ... وَلَا تَكُنْ مِنْ قَلِيْلِ العُرْفِ مُحْتَشِمًا

وَاشْكُرْ لِمَوْلَاكَ مَا أَوْلَاكَ مِنْ نِعَمٍ ... فَالشُّكْرُ يَسْتَوْجِبُ الإِفْضَالَ وَالكَرَمَا

١٤ - مَعْرِفَةُ مَشَاهِدِ المَقْدُورِ والمَكْرُوه :

وَمِنْ الأَسْبَابِ المُعِيْنَةِ عَلَىٰ الرِّضَا مَعْرِفَةُ مَشَاهِدِ المَقْدُورِ والمَكْرُوهِ.

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٤٩٦) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٨٣) ، ومُسْلِمٌ (٢٤٩٤) .
(٣) «عَوْنُ المَعْبُودِ» (١٢/ ٢٦٤) .



قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- :

إِذَا جَرَى عَلَى العَبْدِ مَقْدُورٌ يَكْرَهُهُ فَلَهُ فِيْهِ سِتَّةُ مَشَاهِدَ :

أَحَدُهَا : مَشْهَدُ التَّوْحِيْدِ ، وَأَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي قَدَّرَهُ وَشَاءَهُ وَخَلَقَهُ ، وَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ .

الثَّانِي : مَشْهَدُ العَدْلِ ، وَأَنَّهُ مَاضٍ فِيْهِ حُكْمُهُ عَدْلٌ فِيْهِ قَضَاؤُهُ .

الثَّالِثُ : مَشْهَدُ الرَّحْمَةِ ، وَأَنَّ رَحْمَتَهُ فِي هَذَا المَقْدُورِ غَالِبَةٌ لِغَضَبِهِ وَانْتِقَامِهِ، وَرَحْمَتُهُ حَشْوُهُ [١].

الرَّابِعُ : مَشْهَدُ الحِكْمَةِ ، وَأَنَّ حِكْمَتَهُ -سُبْحَانَهُ- اقْتَضَتْ ذَلِكَ؛ لَمْ يُقَدِّرْهُ سُدًى وَلاَ قَضَاهُ عَبَثًا .

الخَامِسُ : مَشْهَدُ الحَمْدِ ، وَأَنَّ لَهُ -سُبْحَانَهُ- الحَمْدَ التَّامَّ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ جَمِيْعِ وُجُوهِهِ .

السَّادِسُ: مَشْهَدُ العُبُودِيَّةِ ، وَأَنَّهُ عَبْدٌ مَحْضٌ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ ، تَجْرِي عَلَيْهِ أَحْكَامُ سَيِّدِهِ ، وَأَقْضِيَتُهُ بِحُكْمِ كَوْنِهِ مُلْكَهُ وَعَبْدَهُ ، فَيُصَرِّفُهُ تَحْتَ أَحْكَامِهِ القَدَرِيَّةِ كَمَا يُصَرِّفُهُ تَحْتَ أَحْكَامِهِ الدِّيْنِيَّةِ ، فَهُوَ مَحَلٌّ لِجَرَيَانِ هَذِهِ الأَحْكَامِ عَلَيْهِ [٢] .

---

(١) حَشْوُهُ : أَيْ أَسَاسُهُ ، واللهُ أَعْلَمُ .

(٢) « الفَوَائِدُ » لابْنِ القَيِّمِ (٣٣) .



٨١

وَقفَ الهَوَىٰ بِي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي مُـتَـأَخَّـرٌ عَـنْـهُ وَلاَ مُـتَـقَـدَّمُ

أَجِـدُ المَلاَمَةَ فِي رِضَـاكَ لَذِيْذَةً حُبًّا لِـذِكْـرِكَ فَلْيَلُمْنِي اللُّوَّمُ

١٥ - مُجَالَسَةُ العُلَمَاءِ :

إِذَا لَمْ يَكُنْ صَدْرُ المَجَالِسِ سَيِّدًا فَلاَ خَيْـرَ فِيْمَنْ صَدَّرَتْهُ المَجَالِسُ

مُجَالَسَةُ العُلَمَاءِ سَبَبٌ عَظِيْمٌ فِي دُخُولِ جَنَّةِ الرِّضَا ، فَالعُلَمَاءُ هُمْ مَصَابِيْحُ الدُّجَىٰ ، فَهَا هُوَ ابْنُ القَيِّمِ يُحَدِّثُنَا عَنْ شَيْخِهِ وَكَيْفَ أَنَّهُ اكْتَسَبَ الرِّضَا بِمُجَالَسَتِهِ لَهُ ، قَالَ –رَحِمَهُ اللهُ– : « سَمِعْتُ شَيْخَ الإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَةَ يَقُولُ: إِنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَا يَدْخُلُ جَنَّةَ الآخِرَةِ .

وَقَالَ لِي مَرَّةً : مَا يَصْنَعُ أَعْدَائِي بِي ؟ ، أَنَا جَنَّتِي وَبُسْتَانِي فِي صَدْرِيْ ، إِنْ رُحْتَ فَهِيَ مَعِيْ لَا تُفَارِقُنِي ، إِنَّ حَبْسِيْ خَلْوَةٌ ، وَقَتْلِي شَهَادَةٌ ، وَإِخْرَاجِي مِنْ بَلَدِي سِيَاحَةٌ .

وَكَانَ يَقُولُ فِي مَحْبَسِهِ فِي القَلْعَةِ : لَوْ بَذَلْتُ مِلْءَ هَذِهِ القَاعَةِ ذَهَبًا مَا عَدَلَ عِنْدِي شُكْرَ هَذِهِ النِّعْمَةِ .

أَوْ قَالَ مَا جَزَيْتُهُمْ عَلَىٰ مَا تَسَبَّبُوا لِي فِيهِ مِنَ الخَيْرِ وَنَحْوَ هَذَا .

وَكَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ وَهُوَ مَحْبُوسٌ : اللَّهُمَّ أَعِنِّيْ عَلَىٰ ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ مَا شَاءَ اللهُ ، وَقَالَ لِي مَرَّةً : المَحْبُوسُ مَنْ حُبِسَ قَلْبُهُ عَنْ

رَبِّهِ -تَعَالَىٰ- وَالمَأْسُوْرُ مَنْ أَسَرَهُ هَوَاهُ .

وَلَمَّا دَخَلَ إِلَىٰ القَلْعَةِ وَصَارَ دَاخِلَ سُوْرِهَا نَظَرَ إِلَيْهِ وَقَرَأَ ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ [الحديد:١٣] وَعَلِمَ اللهُ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَطْيَبَ عَيْشًا مِنْهُ قَطُّ ، مَعَ مَا كَانَ فِيْهِ مِنْ ضَيْقِ العَيْشِ وَخِلَافِ الرَّفَاهِيَةِ وَالنَّعِيْمِ بَلْ ضِدِّهَا ، وَمَعَ مَا كَانَ فِيْهِ مِنَ الحَبْسِ وَالتَّهْدِيْدِ وَالإِرْهَاقِ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مِنْ أَطْيَبِ النَّاسِ عَيْشًا ، وَأَشْرَحِهِمْ صَدْرًا ، وَأَقْوَاهُمْ قَلْبًا ، وَأَسَرَّهُمْ نَفْسًا ، تَلُوْحُ نَضْرَةُ النَّعِيْمِ عَلَىٰ وَجْهِهِ .

وَكُنَّا إِذَا اشْتَدَّ بَنَا الخَوْفُ وَسَاءَتْ مِنَّا الظُّنُونُ ، وَضَاقَتْ بِنَا الأَرْضُ أَتَيْنَاهُ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ نَرَاهُ وَنَسْمَعَ كَلَامَهُ فَيَذْهَبُ ذَلِكَ كُلُّهُ وَيَنْقَلِبُ انْشِرَاحًا وَقُوَّةً وَيَقِيْنًا وَطُمَأْنِيْنَةً .

فَسُبْحَانَ مَنْ أَشْهَدَ عِبَادَهُ جَنَّتَهُ قَبْلَ لِقَائِهِ ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَابَهَا فِي دَارِ العَمَلِ، فَآتَاهُمْ مِنْ رَوْحِهَا وَنَسِيْمِهَا وَطِيْبِهَا مَا اسْتَفْرَغَ قُوَاهُمْ لِطَلَبِهَا وَالمُسَابَقَةِ إِلَيْهَا [١] .

عَلَيْكَ بِأَهْلِ العِلْمِ فَارْغَبْ إِلَيْهِمُ — يُفِيْدُكَ عِلْمًا كَيْ تَكُونَ عَلِيْمًا

وَيَحْسَبُ كُلُّ النَّاسِ أَنَّكَ مِنْهُمُ — إِذَا كُنْتَ فِي أَهْلِ الرَّشَادِ مُقِيْمًا

(١) «الوَابِلُ الصَّيِّبُ» (٤٨) .






١٦ - تَوْطِيْنُ النَّفْسِ عَلى الرِّضا :

وَمِنْ أَسْبَابِ حُصُـولُ الرِّضَا تَوْطِيْنُ النَّفْسِ عَلَىٰ الرِّضَا فَمَنْ وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَىٰ الرِّضَا عَاشَ فِي الدُّنْيَا حَياةً طَيِّبَةً ، وَلَنْ تَجِدَ الهُمُومُ والأَكْدَارُ إِلَىٰ قَلْبِه سَبِيْلاً ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَـهُ وَتَعَالَىٰ - ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النَّحْلُ : ٩٧] .

وَالحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ هِيَ القَنَاعَةُ بِمَا قَسَمَ اللهُ وَ الرِّضَا بِمَا قَدَّرَ اللهُ [١] .



(١) «أَيْسَـرُ التَّفَاسِيْـرُ » لأَسْعَدْ حُومدٍ (١/ ١٩٩٨) .






الفَصْلُ الثَّاني
مَا يُنَافي الرِّضَا

١- السَّخطُ :

السَّخَطُ يُنَافِي الرِّضَا بَلْ هُوَ ضِدُّهُ وَيَنْقَسِمُ إِلَىٰ أَقْسَامٍ :

أ ـ سَخَطُ القَلْبِ :

وَهُوَ أَنْ يَكُونَ فِي قَلْبِهِ – وَالعِيَاذُ بِاللهِ – شَيْءٌ عَلَىٰ رَبِّهِ مِنَ السَّخَطِ والشَّرَهِ عَلَىٰ اللهِ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَيَشْعُرُ كَأَنَّ اللهَ قَدْ ظَلَمَهُ بِهَذِهِ المُصِيبَةِ –وَالعِيَاذُ بِاللهِ وسُبْحَانَ اللهِ – وَهَذَا حَرَامٌ وَقَدْ يُؤَدِّي إِلَىٰ الكُفْرِ –وَالعِيَاذُ بِاللهِ – .

ب ـ سَخَطُ اللِّسَانِ :

حَيْثُ يَدْعُو بِالوَيْلِ والثُّبُورِ ، يَا وَيْلَاهُ ، وَيَا ثُبُورَاهُ ، وَأَنْ يَسُبَّ الدَّهْرَ فَيُؤْذِي اللهَ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَهَذَا حَرَمٌ أَيْضًا .

جـ ـ سَخَطُ الجَوَارِحِ :

فَهُوَ أَنْ يَلْطِمَ خَدَّهُ ، أَوْ يَصْفَعُ رَأْسَهُ ، أَوْ يَنْتِفَ شَعْرَهُ ، أَوْ يَشُقَّ ثَوْبَهُ ، أَوْ يَكْسِرَ جَوَّالَهُ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ [١]، وَهَذَا حَرَامٌ مُنَافٍ لِلصَّبْرِ الوَاجِبِ .

---

(١) انْظُرْ : « شَرْحَ رِيَاضِ الصَّالِحِيـنَ » لابْنِ عُثَيْمِيـنَ (١/ ١٧٤) . وَ«فَتَاوَىٰ عُلَمَاءِ البَلَدِ الحَرَامِ» إِعْدَادُ الجُرَيْسِيِّ (٣٧) .


٨٥



٢- الاعْتِرَاضُ عَلَى قَضَاءِ اللهِ الشَّرْعِيِّ :

وَالاعْتِرَاضُ قَدْ يَكُونُ عَلَىٰ قَضَاءِ اللهِ الدِّيْنِيِّ الشَّرْعِيِّ، وَقَدْ يَكُونُ عَلَىٰ قَضَاءِ اللهِ الكَوْنِيِّ القَدَرِيِّ ، وَخَاصَّةً مَا يُخَالِفُ مَا يُحِبُّ العَبْدُ وَيَهْوَىٰ .

فَمِنَ الأَوَّلِ : مَا وَرَدَ عَنِ المُنَافِقِيْنَ الَّذِيْنَ قَالُوا فِي غَنَائِمِ حُنَيْنٍ : «إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيْدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ » ، وَنَحْوَ ذَلِكَ [١].

فَهَذَا الاعْتِرَاضُ مَعْصِيَةٌ للهِ وَلِرَسُولِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وَيُخَافُ عَلَىٰ صَاحِبِهِ النِّفَاقُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُنَافِقًا ، وَهُوَ يُنَافِي الرِّضَا بِقَضَاءِ اللهِ الشَّرْعِيِّ وَالدِّيْنِيِّ [٢].

وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ سَبُّ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الاعْتِرَاضِ عَلَىٰ اللهِ وَعَلَىٰ قَضَائِهِ الشَّرْعِيِّ، وَالتَّكْذِيْبُ بِالقَدَرِ،وَمَنْ أَظْهَرَ الاعْتِرَاضَ عَلَىٰ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -[٣]،وَقَرِيْبٌ مِنْ ذَلِكَ الاعْتِرَاضُ عَلَىٰ سُنَّةٍ مِنْ سُنَنِ الرَّسُولِ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَهَذَا الاعْتِرَاضُ مُنَافٍ لِلرِّضَا بِالقَضَاءِ ، وَمُعَارِضٌ لِقَوْلِ المُسْلِمِ : « **رَضِيْتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ- صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَسُولًا**» ، قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ- : مُحَذِّرًا مِنْ تَرْكِ الرِّضَا بِحُكْمِ الرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ

---

(١) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ فِي كِتَابِ النِّكَاحِ ، بَابُ الغَيْـرَةِ ، وَمُسْلِمٌ فِي كِتَابِ التَّوْبَةِ ، بَابُ غَيْـرَةِ اللهِ وَتَحْرِيْمِ الفَوَاحِشِ (٤/ ٢١١٤) .

(٢) انْظُرْ : «الصَّارِمُ المَسْلُولُ » لابْنِ تَيْمِيَةَ (٢/ ٣٧٠) .

(٣) انْظُرْ : «المَصْدَرَ السَّابِقَ » (٢/ ٣٨٣) .



وَسَلَّمَ- ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾[النِّسَاءِ:٦٤].

وَقَالَ أُسْتَاذنَا عَبْد الكَرِيْم العِمَادَ - حَفِظَهُ اللهُ وَرَعَاهُ - :

ارْضَ بِمَا حَكَمَ الإِلَهُ وَمَا قَضَى ... فَلَهُ البَلَاءُ وَعِنْدَهُ الإِحْسَانُ

فَإِذَا رَضِيْتَ بِمَا قَضَىٰ فَلَكَ الرِّضَا ... وَإِذَا سَخِطْتَ فَذَلِكَ الخُسرانُ

وَهَذَا تَعْرِيْفٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ- ذِكَرُهُ لِلمُنَافِقِيْنَ، بِأَنَّ تَرْكَهُمْ طَاعَةَ اللهِ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَالرِّضَا بِحُكْمِه إِنَّمَا هُوَ لِلسَابِق لَهُمْ مِنْ خُذْلَانِهِ، وَغَلَبَةِ الشَّقَاءِ عَلَيْهِمْ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانُوا مِمَّنْ أُذِنَ لَهُ فِي الرِّضَا بِحُكْمِهِ والمُسَارَعَةِ إِلَىٰ طَاعَتِه[1].

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النِّسَاء: ٦٥].

فَأَقْسَمَ بِنَفْسِهِ -سُبْحَانَهُ- عَلَىٰ نَفْي إِيْمَانِ مَنْ لَمْ يَجْمَعْ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ هِيَ: تَحْكِيْمُهُ فِيْمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ أَنْ لَا يَجِدَ فِي نَفْسِهِ حَرَجًا، والتَّسْلِيْمُ.

وَهَذَا يُوجِبُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ مَا يُوجِبُ الحَرَجَ عَنْ امْتِثَالِ ذَلِكَ، فَإِنَّ حُكْمَهُ لَابُدَّ فِيْهِ مِنْ أَمْرٍ وَنَهْيٍ، وَإِنْ كَانَ فِيْهِ إِبَاحَةٌ -أَيْضًا- فَلَوْ كَانَ المَأْمُورُ بِهِ والمَنْهِيُّ عَنْهُ مَضَرَّةً لِلعَبْدِ، وَمَفْسَدَةً، وَأَلَمًا بِغَيْرِ لَذَّةٍ رَاجِحَةٍ، لَمْ

(١) «تَفْسِيْرُ الطَّبَرِيِّ» (٥/ ١٥٧).



يَكُنْ العَبْدُ مَلُومًا عَلَىٰ وُجُودِ الحرَجِ فِيمَا هُوَ مَضَرَّةٌ لَهُ وَمَفْسَدَةٌ .

فَعَلَىٰ المُؤْمِنِ أَنْ يُحِبَّ مَا أَحَبَّ اللهُ، وَيَبْغَضَ مَا أَبْغَضَهُ اللهُ، وَيَرْضَىٰ بِمَا قَدَّرَهُ اللهُ، وَيُسَلِّمَ لِحُكْمِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَكُلُّ مَقْدُورٍ قُدِّرَ لِلعَبْدِ إِذَا عَمِلَ فِيْهِ بِطَاعَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَهُوَ خَيْرٌ، وَإِنَّمَا يَكُونُ شَرًّا لِمَنْ عَمِلَ بِمَعْصِيَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-[1].

إِلَىٰ اللهِ كُلُّ الأَمْرِ فِي الخَلْقِ كُلِّهِ   وَلَيْسَ إِلَىٰ المَخْلُوقِ شَيْءٌ مِنَ الأَمْرِ
إِذَا أَنَا لَمْ أَقْبَلَ مِنَ الدَّهْرِ كُلَّ مَا   تَكَرَّهْتُ مِنْهُ طَالَ عُتْبِي عَلَىٰ الدَّهْرِ

٣- سُوءُ الظَّنِّ بِاللّه :

وَمِمَّا يُنَافِي الرِّضَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ وَعَزِيْزٌ أَنْ يَجْتَمِعَ سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ مَعَ الرِّضَا إِلَّا كَمَا يَجْتَمِعُ المَاءُ وَالنَّارُ وَالضَّبُّ وَالحُوتُ وَجُلُّ الخَلْقِ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الحَقِّ - إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ - .

وَمِنْ دُرَرِ العَلَّامَةِ ابْنِ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللّهُ- قَوْلُهُ :

« فَأَكْثَرُ الخَلْقِ بَلْ كُلُّهُمْ - إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ - يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ السَّوْءِ ، فَإِنَّ غَالِبَ بَنِي آدَمَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مَبْخُوسُ الحَقِّ نَاقِصُ الحَظِّ ، وَأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ فَوْقَ مَا أَعْطَاهُ اللهُ ، وَلِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ : ظَلَمَنِي رَبِّي وَمَنَعَنِي مَا

(١) انْظُرْ : «صِفَاتُ الرِّضَا بَيْنَ الإِثْبَاتِ وَالتَّعْطِيْلِ» ، د. سَالِمِ القَرنِي ، مَجَلَّةُ جَامِعَةِ أُمِّ القُرَىٰ ، عَدَد (٢٠) .



أَسْتَحِقُّهُ ، وَنَفْسُهُ تَشْهَدُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ ، وَهُوَ بِلِسَانِهِ يُنْكِرُهُ، وَلاَ يَتَجَاسَرُ عَلَىٰ التَّصْرِيْحِ بِهِ ، وَمَنْ فَتَّشَ نَفْسَهُ وَتَغَلْغَلَ فِي مَعْرِفَةِ دَفَائِنِهَا وَطَوَايَاهَا رَأَىٰ ذَلِكَ فِيْهَا كَامِنًا كُمُونَ النَّارِ فِي الزِّنَادِ ، فَاقْدَحْ زِنَادَ مَنْ شِئْتَ يُنْبِئَكَ شَرَارُهُ عَمَّا فِي زِنَادِهِ ، وَلَوْ فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَهُ لَرَأَيْتَ عِنْدَهُ تَعَتُّبًا عَلَىٰ القَدَرِ وَمَلامَةً لَهُ وَاقْتِرَاحًا عَلَيْهِ خِلاَفَ مَا جَرَىٰ بِهِ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا ، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ ، وَفَتِّشْ نَفْسَكَ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ مِنْ ذَلِكَ .

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيْمَةٍ وَإِلَّا فَـإِنِّي لاَ إِخَـالُـكَ نَاجِيًا

فَلْيَعْتَنِ اللَّبِيْبُ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا المَوْضِعِ ، وَلْيَتُبْ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ ، وَلِيَسْتَغْفِرْهُ كُلَّ وَقْتٍ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ، وَلَيَظُنَّ السَّوءَ بِنَفْسِهِ ، الَّتِي هِيَ مَأْوَىٰ كُلِّ سُوءٍ ، وَمَنْبَعُ كُلِّ شَرٍّ المُرَكَّبَةِ عَلَىٰ الجَهْلِ والظُّلْمِ ، فَهِيَ أَوْلَىٰ بِظَنِّ السَّوءِ مِنْ أَحْكَمِ الحَاكِمِيْنَ وَأَعْدَلِ العَادِلِيْنَ وَأَرْحَمِ الرَّاحِمِيْنَ ، الغَنِيِّ الحَمِيْدِ الَّذِي لَهُ الغِنَىٰ التَّامُّ والحَمْدُ التَّامُّ والحِكْمَةُ التَّامَّةُ ، المُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ سَوْءٍ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَسْمَائِهِ ، فَذَاتُهُ لَهَا الكَمَالُ المُطْلَقُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَصِفَاتُهُ كَذَلِكَ وَأَفْعَالُهُ كَذَلِكَ ، كُلُّهَا حِكْمَةٌ وَمَصْلَحَةٌ وَرَحْمَةٌ وَعَدْلٌ ، وَأَسْمَاؤُهُ كُلُّهَا حُسْنَىٰ [١] .

فَـلاَ تَظْنُنْ بِـرَبِّـكَ ظَـنَّ سَـوْءٍ فَـإِنَّ اللهَ أَوْلَىٰ بِـالجَـمِـيْـلِ

---

(١) « زَادُ المَعَادِ» (٣/ ٢١١-٢١٢) .

٨٩

وَلاَ تَظْنُنْ بِنَفْسِكَ قَطُّ خَيْرًا وَكَيْفَ بِظَالِمٍ جَانٍ جَهُولِ
وَقُلْ يَا نَفْسُ مَأْوَىٰ كُلِّ سُوءٍ أَيُرْجَىٰ الخَيْرُ مِنْ مَيْتٍ بَخِيلِ
وَظُنَّ بِنَفْسِكَ السَّوْأَىٰ تَجِدْهَا كَذَلِكَ وَخَيْرُهَا كَالْمُسْتَحِيلِ
وَمَا بِكَ مِنْ تُقًى فِيْهَا وَخَيْرٍ فَتِلْكَ مَوَاهِبُ الرَّبِّ الجَلِيْلِ
وَلَيْسَ بِهَا وَلا مِنْهَا وَلَكِنْ مِنَ الرَّحْمَنِ فَاشْكُرْ لِلدَّلِيْلِ

٤- ضَعْفُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ :

وَمِمَّا يُنَافِي الرِّضَا ضَعْفُ التَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللهِ كَمَا عَرَّفَهُ ابْنُ رَجَبٍ -رَحِمَهُ اللهُ- :

« هُوَ صِدْقُ اعْتِمَادِ القَلْبِ عَلَىٰ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي اسْتِجْلَابِ المَصَالِحِ، وَدَفْعِ الْمَضَارِّ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كُلِّهَا ، وَكِلَةُ الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَيْهِ ، وَتَحْقِيقُ الْإِيمَانِ بِأَنَّهُ لَا يُعْطِي وَلَا يَمْنَعُ وَلَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ سِوَاهُ »[1].

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : « **لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا** »[2].

(١) «جَامِعُ العُلُومِ والحِكَمِ» (٢/ ٤٩٧) .

(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ(٢٣٤٥) وَقَالَ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-فِي«صَحِيْحِ الجَامِعِ» (٥٢٥٤) صَحِيْحٌ.

أَيْ تَذْهَبَ أَوَّلَ النَّهَارِ ضَامِرَةَ البُطُونِ مِنَ الجُوْعِ وَتَعُودُ آخِرَ النَّهَارِ مُمْتَلِئَةَ البُطُونِ ، والتَّشْبِيْهُ بِذَهَابِ الطَّيْرِ بَحْثًا عَنْ قُوتِهَا يُشِيْرُ بِوُضُوحٍ إِلَىٰ أَنَّ التَّوَكُّلَ عَلَىٰ اللهِ هُوَ البَحْثُ عَنِ الرِّزْقِ لَا الانْتِظَارُ أَنْ يَأْتِيَ الرِّزْقُ .

وَالتَّوَكُّلُ يَقُومُ عَلَى رُكْنَيْنِ عظِيْمَيْنِ :

١ – الاعْتِمَادُ عَلَىٰ اللهِ والثِّقَةُ بِنَصْرِهِ تَعَالَىٰ .

٢ – الأَخْذُ بِالأَسْبَابِ المَشْرُوعَةِ .

يَا مَالِكًا هُوَ بِالنَّوَاصِي آخِذُ ... وَقَضَاؤُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ نَافِذُ

أَنَا عَائِذٌ بِكَ يَا كَرِيْمُ وَلَمْ يَخِبْ ... عَبْدٌ بِعِزِّكَ مُسْتَجِيْرٌ عَائِذُ

٥- التَّحَسُّرُ عَلَى مَا فَاتَ :

وَمِمَّا يُنَافِي الرِّضَا التَّحَسُّرُ عَلَىٰ مَا فَاتَ ، فَمَا أُعْطِيَ لِغَيْرِكَ وَحُرِمْتَ مِنْهُ ، فَإِنَّكَ لَمْ تُحْرَمْ مِنْ شَيْءٍ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ، وإِنَّمَا مُنِعْتَ مِنْ شَيْءٍ لَمْ يَكُنْ لَكَ أَصْلاً فَعَلَامَ التَّحَسُّرُ ؟!! .

قَالَ اللهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– : ﴿ **لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ** ﴾ [الحَدِيْدُ : ٢٣] . فَهَذِهِ دَعْوَةٌ لِلعِبَادِ إِلَىٰ تَرْكِ الحُزْنِ عَلَىٰ الدُّنْيَا ، بَلْ نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ وَإِنْ تَعَلَّقَ بِالدِّيْنِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ – : ﴿ **وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ** ﴾ [آلُ عِمْرَانُ : ١٣٩] ، لِأَنَّهُ لَا يَجْلِبُ المَنْفَعَةَ ، وَلَا

يَدْفَعُ مَضَّرَةً ، فَلَا فَائِدَةَ فِيْهِ [١].

أَمَا الحُزْنُ عَلَىٰ مَوْتِ قَرِيْب ، أَوْ فَوَاتِ عِبادَة ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ ، مِمَّا لَيْسَ فِيْهِ طَمَعٌ أَوْ سَخَطٌ أَوْ اعْتِرَاضٌ عَلَىٰ الْمُقَدَّر ، فَهُو رَحْمَةٌ مِنَ الله ، وَهُوَ حُزْنُ القَلْبِ ، وَ حُزْنُ القَلْبِ لَا يُؤْخَذُ بِهِ العَبْدُ إِذَا لَمْ يَصْحَبْهُ اعْتِرَاضٌ عَلَىٰ قَدَرِ الله –تَعَالَىٰ – .

فَالأَنْبِيَاءُ – عَلَيْهِمْ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ – حَزِنُوا ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ دَلِيْلاً عَلَىٰ عَدَمِ يَقِيْنِهِمْ بالله ، وَرِضَاهُمْ بِقَضَائِهِ .

وَالنَّبِيُّ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَمَّا كَانَ ابْنُهُ إِبْرَاهِيْمُ يَجُوْدُ بِنَفْسِهِ فَجَعَلَتْ عَيْنَا النَّبِيِّ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – تَذْرِفَانِ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – : وَأَنْتَ يَا رَسُولُ الله ؟! ، فَقَالَ : « **يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةُ الله** » ، ثُمَّ أَتَبَعَهَا بِأُخْرَىٰ ، فَقَالَ : « **إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ والقَلْبَ يَحْزَنُ ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا ، وَإِنَّا بِفُرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيْمُ لَمَحْزُوْنُونَ** » [٢].

وَلَمَّا اشْتَكَىٰ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – فَأَتَاهُ النَّبِيُّ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –يَعُودُهُ مَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ،وَعَبْدِ الله ابْنِ مَسْعُودٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ – فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ فِي غَاشِيَةِ أَهْلِه ، فَقَالَ : قَدْ قَضَىٰ ؟، قَالُوا : لا يَا رَسُولَ الله ، فَبَكَىٰ النَّبِيُّ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ

---

(١) « مَجْمُوع الفَتَاوَىٰ » (١٦/ ١٠–١٧) .

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ .

وَسَلَّمَ - ، فَلَمَا رَأَىٰ القَوْمُ بُكَاءَ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَكوا ، فَقَالَ: « **أَلَا تَسْمَعُونَ إِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ ، وَلَا بِحُزْنِ القَلْبِ ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا - وَأَشَارَ إِلَىٰ لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ ، وَإِنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ** »(١) .

وَأَمَّا مَا نَهَىٰ عَنْهُ مِنَ الحُزْنِ فِي مِثْلِ قَوْلِ اللهِ -وَتَعَالَى-: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النَّحْلُ :١٢٧-١٢٨] ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ - : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التَّوْبَةُ :٤٠] .

وَغَيْرِهِمَا مِنَ الآيَاتِ إِنَّمَا هُوَ نَهْيٌ عَنِ الحُزْنِ مَقْرُونٌ بِمَا يُوجِبُ زَوَالَهُ ، ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يُوْجَدُ هَذَا الحُزْنُ المَنْهِيُّ عَنْهُ ، بَلْ النَّهْيُ لِئَلَّا يُوْجَدَ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الحُزْنِ الَّذِي رُبَّمَا يَكُونُ مَعْصِيَةً ، أَوْ يَنْهَىٰ عَنِ الإِفْرَاطِ فِيهِ ، أَوْ قَدْ يَكُونُ تَسْلِيَةً أَوْ أَمْرًا بِاكْتِسَابِ قُوَّةٍ تَدْفَعُهُ عَنْهُ ؛ لِيُثَابَ عَلَىٰ ذَلِكَ(٢) .

فَالحُزْنُ الَّذِي لَا يُخْرِجُ الإِنْسَانَ مِنْ كَوْنِهِ صَابِرًا رَاضِيًا ، أَيْ كَانَ قَلْبُهُ مَطْمَئِنًّا فَإِنَّهُ لَا يُؤَاخَذُ عَلَيْهِ .

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -:

« وَلِهَذَا لَمْ يُؤْمَرْ بِالحُزْنِ المُنَافِي لِلرِّضَا قَطُّ ، مَعَ أَنَّهُ لَا فَائِدَةَ فِيهِ ، بَلْ قَدْ

---

(١) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الجَنَائِزِ ، بَابُ البُكَاءِ عِنْدَ المَرِيضِ .
(٢) انْظُرْ : « مِنْهَاجُ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ» ، لابْنِ تَيْمِيَةَ -رَحِمَهُ اللهُ - (٨/ ٤٦٤-٤٦٦) .

يَكُونُ فِيهِ مَضَرَّةٌ ، لَكِنَّهُ عُفِيَ عَنْهُ إِذَا لَمْ يَقْتَرِنْ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ »[(١)] [(٢)] .

فَلا حَاجَةَ لِتَحَسُّرِ العَبْدِ عَلَىٰ بَيْعَةٍ بَاعَهَا فَنَدِمَ عَلَيْهَا فَيَأْكُلُهُ النَّدَمُ طَوَالَ حَيَاتِهِ، وَرُبَّمَا حَدَّثَ أَوْلَادَهُ وَأَحْفَادَهُ بِهَذِهِ البَيْعَةِ لِأَرْضٍ أَوْ نَحْوِهَا قَبْلَ خَمْسِينَ سَنَةً بِبَيْعَةٍ زَهِيدَةٍ ، هِيَ لَمْ تُكْتَبْ لَهُ ، بَلْ مَكْتُوبَةٌ لِفُلَانٍ .

قَالَ أَحَدُ السَّلَفِ : « فَإِنَّ حَسَرَاتِ الفَوَاتِ أَشَدُّ مِنْ سَكَرَاتِ المَوْتِ »[(٣)].

يَا أَخَا العَقْلِ تَوَقَّرْ ... وَتَجَمَّلْ وَتَصَبَّرْ
سَاءَكَ الدَّهْرُ بِشَيْءٍ ... وَبِمَا سَرَّكَ أَكْثَرْ
يَا كَبِيرَ الذَّنْبِ عَفْوُ ... اللهِ مِنْ ذَنْبِكَ أَكْبَرْ
أَكْبَرُ الأَشْيَاءِ عَنْ أَصْـ ... ـغَرِ عَفْوِ اللهِ أَصْغَرْ
لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا ... مَا قَضَىٰ اللهُ وَقَدَّرْ
لَيْسَ لِلْمَخْلُوقِ تَدْبِـ ... ـيرٌ بَلِ اللهُ المُدَبِّرْ

٦- الشَّكْوَى لِلنَّاسِ :

وَمِمَّا يُنَافِي الرِّضَا الشَّكْوَىٰ لِلنَّاسِ سِيَّمَا إِذَا كَانَ عَلَىٰ سَبِيلِ الشَّكْوَىٰ ، وَالاعْتِرَاضِ ، لَا عَلَىٰ سَبِيلِ الإِعْلَامِ وَالإِخْبَارِ .

---

(١) « مَجْمُوع الفَتَاوَىٰ » (١٠/ ٤٦) .
(٢) انْظُرْ : مَجَلَّة جَامِعَةِ أُمِّ القُرَىٰ (١٩-٢٤/ ٥/ ٤٢٣/ ٢٤) بَحْثٌ لِلشَّيْخِ/ سَالِمِ القُرَنِيِّ .
(٣) « التَّذْكِرَةُ فِي الوَعْظِ » (١٤٥) .

وَأَمَّا الشَّكْوَىٰ لله فَلَا يُنَافِيْهِ ، قَالَ اللهُ –سُبْحَانَـهُ وَتَعَالَىٰ – : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[يُوسُف: ٨٦] .

وَقَالَ اللهُ –سُبْحَانَـهُ وَتَعَالَىٰ – : عَنْ أَيُّوبُ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ– : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الأَنْبِيَاءُ :٨٣] .

وَأَسْوَاءُ الشَّكْوَىٰ مَعَ البُكَاءِ إِذَا كَانَ عَلَىٰ السَّبِيْلِ الشَّكْوَىٰ وَالاعْتِرَاض ، فَهَذَا الصَّنِيْعُ لاَ يَجْمُلُ ولاَ يَحْسُنُ مِنْ أَشْبَاهِ الرِّجَالِ، وَعُظَمَاءُ الرِّجَالِ بِمَنْأَىٰ عَنْ ذَلِكَ .

وَمِنْ طَرِيْفِ مَا يُذْكَرُ أَنَّ رَجُلاً شَكَىٰ إِلَىٰ الحَسَنِ البَصْرِيِّ –رَحِمَهُ اللهُ– سُوْءَ الحَالِ وَجَعَلَ يَبْكِي ، فَقَالَ الحَسَنُ –رَحِمَهُ اللهُ– : يَا هَذَا كُلُّ هَذَا اهْتِمَامًا بِأَمْرِ الدُّنْيَا ، واللهِ لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا كُلُّهَا لِعَبْدٍ فَسُلِبَهَا مَا رَأَيْتُهَا أَهْلاً لأَنْ يُبْكَىٰ عَلَيْهَا » .

فَحَرِيٌّ بالمُسْلِمِ أَنْ يَخْزَنَ لِسَانَهُ وَيَتَحَلَّىٰ بالصَّبْرِ وَالرِّضَا والشُّكْرِ ، لِأَنَّ الشَّكْوَىٰ لِلنَّاسِ لَا تُجْدِي نَفْعًا وَلاَ تُطْفِيءُ لَوْعَةً فِي الغَالِب .

وَلِهَذَا رَأَىٰ بَعْضُ السَّلَف رَجُلاً يَشْكُو إِلَىٰ رَجُلٍ فَاقَتَهُ وَضَرُوْرَتَهُ ، فَقَالَ : يَا هَذَا مَا زِدْتَ عَلَىٰ أَنْ شَكَوْتَ مَنْ يَرْحَمُكَ إِلَىٰ مَنْ لاَ يَرْحَمُكَ »[1] .

(١) «الفَوَائِدُ» (١٣١) .

قَالَ الشَّاعِرُ :

وَإِذَا عَرَتْكَ بَلِيَّةٌ فَاصْبِرْ لَهَا صَبْرَ الكَرِيْم فَإِنَّهُ بِكَ أَعْلَمُ
وَإِذَا شَكَوْتَ إِلَىٰ ابْنِ آدَمَ إِنَّمَا تَشْكُو الرَّحِيْمَ إِلَىٰ الَّذِي لَا يَرْحَمُ

وَمَا مِنْ شَكٍّ أَنَّ مَنْ نَشْكُو إِلَيْهِمْ عِنْدَهُمْ مِنَ الهُمُوم مَا يَكْفِيْهِمْ وَلَيْسُوا بِحَاجَةٍ إِلَىٰ أَنْ يَسْمَعُوا مَا يَزِيْدُهُمْ همًّا وَغمًّا ، وَلَنْ نَجْنِيَ مِنْهُمْ سِوَىٰ المَقْتِ وَالاحْتِقَارِ والذِّلَةِ والصَّغَارِ .

وَلَقَدْ أَحْسَنَ الَّذِي يَقُولُ :

كَفَاكَ مِنَ الشَّكْوَىٰ إِلَىٰ النَّاسِ أَنَّهَا تَسُرُّ عَدُوًّا أَوْ تَسُوءُ صَدِيْقًا

وَقَالَ آخرُ :

وَيَمْنَعنِي مِنَ الشَّكْوَىٰ إِلَىٰ النَّاسِ أَنَّنِي عَلِيْلٌ وَمَنْ أَشْكُو إِلَيْهِ عَلِيْلُ

٧- تَسَخُّطُ البَنَات :

وَمِمَّا يُنَافِي الرِّضَا السَّخَطُ مِنْ وِلَادَةِ البَنَاتِ ، وَقَالَ اللهُ -وَتَعَالَىٰ- : ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الشُّورَىٰ : ٤٩-٥٠] .

قَالَ ابْنُ القَيِّم -رَحِمَهُ اللّٰه- :

« فقَسَّمَ -سُبْحَانَهُ- حَالَ الزَّوْجَيْنِ إِلَىٰ أَرْبَعَةِ أَقْسَام اشْتَمَلَ عَلَيْهَا الوُجُودُ وَأَخْبرَ أَنَّ مَا قَدَّرَهُ بَيْنَهُمَا مِنَ الوَلَدِ فَقَدْ وَهَبَهُمَا إِيَّاهُ ، وَكَفَىٰ بالعَبْدِ تَعَرُّضًا لَمَقْته أَنْ يَتَسَخَّطَ مَا وَهَبَهُ وَبَدَأَ -سُبْحَانَهُ- بِذِكْرِ الإِنَاث ، فَقِيْلَ: جبْرًا لَهُنَّ لأَجْلِ اسْتِثْقَالِ الوَالِدَيْنِ لمَكَانِهِنَّ ، وَقِيْلَ -وَهُوَ الأَحْسَنُ- : إِنَّمَا قَدَّمَهُنَّ لأَنَّ سِيَاقَ الكَلامَ أَنَّهُ فَاعِلٌ مَا يَشَاءُ لَا مَا يَشَاءُ الأَبَوَان ، فَإِنَّ الأَبَوَانِ لَا يُرِيْدَانِ إِلَّا الذُّكُورَ غَالِبًا ، وَهُوَ -سُبْحَانَهُ- قَدْ أَخْبرَ أَنَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، فَبَدَأَ بِذِكْرِ الصَّنْفِ الَّذِي يَشَاءُ وَلاَ يُرِيْدُهُ الأَبَوَانِ »[1].

وَتَسَخُّطُ البَنَاتِ حَاصِلٌ عِنْدَ ضِعَافِ الإِيْمَانِ مَا لاَ يُوصَفُ ، وَلَوْ شِئْتَ لَسَرَدْتُ لَكَ مِنْ ذَلِكَ كَرَارِيْسَ ، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَهْجُرُ زَوْجَتَهُ إِلَىٰ غَيْرِهَا لأَنَّهَا مُؤَنِّثَةٌ ، أَيْ تُنْجِبُ البَنَات .

وَمِنْ طَرِيْفِ مَا يُذْكَرُ أَنَّ رَجُلاً هَجَرَ زَوْجَتَهُ الَّتِي تُنْجِبُ البَنَاتِ ، وَتزَوَّجَ أُخْرَىٰ غَيْرَهَا ، وَأَصْبَحَ لَا يَأْتِيْهَا لِهَذَا السَّبَبِ ، فَسَمِعَهَا ذَاتَ يَوْمٍ ، تُرَقِّصُ إِحْدَىٰ بَنَاتِهَا وَهِيَ تَقُولُ :

مَا لِأَبِي حَمْزَةَ لَا يَأْتِيْنَا ... يَظَلُّ بِالبَيْتِ الَّذِي يَلِيْنَا

غَضْبَانَ أَنْ لاَ نَلِدَ البَنِيْنَا ... تَاللهِ مَا ذَلِكَ بِأَيْدِيْنَا

وَنَحْنُ كَالأَرْضِ لِزَارِعِيْنَا ... نُنْبِتُ مَا قَدْ زَرَعُوهُ فِيْنَا

---

(١) « تُحْفَةُ المَوْلُودِ » (٢٠) .

فَلَمَّا سَمِعَ الرَّجُلُ ذَلِكَ رَجَعَ وَصَالحَهَا ، وَأَصْبَحَ يَأْتِيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ ! .

٨- النِّيَاحَةُ :

وَمِمَّا يُنَافِي الرِّضَا النَّوْحُ مِنَ النِّسَاءِ ، أَوِ الرِّجَالِ ، وَهُوَ عَادَةً يَكُونُ مِنَ النِّسَاءِ عِنْدَ القُبُورِ ، وَعِنْدَ نُزُوْلِ المَصَائِبِ ، وَهَذَا مِنَ الجَزَعِ والاعْتِرَاضِ عَلَىٰ القَضَاءِ ، لِمَا يَصْحَبُهُ مِنْ صَكِّ الوَجْهِ ، أَوْ لَطْمِ الخَدِّ ، أَوْ الدُّعَاءِ بِالوَيْلِ والثُّبُورِ ، أَوْ سَبِّ الدَّهْرِ عِنْدَ المُصِيْبَةِ ، أَوْ رَفْعِ الصَّوْتِ بِالبُكَاءِ وَالوَيْلِ ، واعْتِرَاضًا عَلَىٰ القَضَاءِ والقَدَرِ ، وَعِنْدَ مَوْتِ مَحْبُوبٍ أَوْ قَرِيْبٍ أَوْ فَوَاتِ أَمْرٍ دُنْيَوِيٍّ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا نَهَىٰ عَنْهُ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الخُدُودَ ، وَشَقَّ الجُبُوبِ ، وَدَعَا بِدَعْوَىٰ الجَاهِلِيَّةِ**» [١] .

وَمَا فِي الصَّحِيْحِ أَنَّ أَبَا مُوسَىٰ الأَشْعَرِيَّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَجِعَ وَجَعًا شَدِيْدًا ، فَغُشِيَ عَلَيْهِ ، وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ ، فَصَاحَتْ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِهِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْئًا ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ : « أَنَا بَرِيْءٌ مِمَّنْ بَرِئَ مِنْهُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-» فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « **بَرِئَ مِنَ الصَّالِقَةِ وَالحَالِقَةِ ، والشَّاقَّةِ** » [٢] .

وَالنِّيَاحَةُ ضَلَالٌ عَظِيْمٌ ، تَتَضَمَّنُ فِعْلَ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ ، وَتَرْكَ مَا أَمَرَ بِهِ، فَفِيْهَا تَرْكُ الصَّبْرِ ، وَفِيْهَا الجزَعُ ، وَقَوْلُ الهَجْرِ ، وَدُعَاءُ غَيْرِ اللهِ ، وَتَرْكُ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٢٩٧) ، ومُسْلِمٌ (١٠٣) .

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٢٩٦) ، ومُسْلِمٌ (١٠٤) .

إِخْلَاصِ الدِّيْنِ لِلهِ » [١] .

وَالنَّائِحَةُ تُعَاقَبُ عَلَىٰ النِّيَاحَةِ ، كَمَا فِي الحَدِيْثِ الصَّحِيْحِ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : « **أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ : الفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ، والطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، والاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ ، والنِّيَاحَةُ ، وَقَالَ : النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ** » [٢] .

وَالإِنْسَانُ يُعَذَّبُ بِالأُمُورِ المَكْرُوهَةِ الَّتِي يَشْعُرُ بِهَا ، مِثْلِ الأَصْوَاتِ الهَائِلَةِ، والأَرْوَاحِ الخَبِيْثَةِ ، والصُّوَرِ القَبِيْحَةِ .

وَلِذَلِكَ فَإِنَّ المَيِّتَ المُنَاحَ عَلَيْهِ ، إِذَا رَضِيَ بِذَلِكَ وَهُوَ فِي حَيَاتِهِ، أَوْ أَوْصَىٰ بِهِ ، وَلَمْ يَنْهَ عَنْهُ ، فَإِنَّ لَهُ نَصِيْبَهُ مِنْ عَذَابِ النِّيَاحَةِ ، لِمَا وَرَدَ فِي الحَدِيْثِ : « **إِنَّ المَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ** » .

بَلْ قَدْ عَدَّ أَهْلُ العِلْمِ : صِنَاعَةَ الطَّعَامِ مِنْ أَهْلِ المَيِّتِ ، وَدَعْوَةَ النَّاسِ إِلَيْهِ مِنَ النِّيَاحَةِ ، وَالاجْتِمَاعُ لِهَذَا فِي حَدِّ ذَاتِهِ مِنَ النِّيَاحَةِ [٣] .

فَالنِّيَاحَةِ وَمَا يَحُفُّهَا وَيَقْتَرِنُ بِهَا مِنَ المُخَالَفَاتِ الشَّرْعِيَّةِ تُنَافِي الرِّضَا بِالقَضَاءِ ، وَهِيَ أَيْضًا مِنَ التَّسَخُّطِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الرِّضَا .

---

(١) «فَتَاوَىٰ ابْن تَيْمِيَة » (٢٧/ ٣٨٠) .

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٩٣٤) .

(٣) انْظُرْ : « مِنْهَاجُ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ» ، لابْنِ تَيْمِيَةَ -رَحِمَهُ اللهُ- (٤/ ٥٤٤) .

وَمِمَّا يُحَدِّثُ الشَّيْطَانُ لِفِئَةٍ مِنَ النَّاسِ - وَهُمْ الرَّافِضَةُ - بِدْعَتَيْ الحُزْنِ والنَّوْحِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، مِنَ اللَّطْمِ، والصُّرَاخِ، والبُكَاءِ، والعَطَشِ، وَإِنْشَادِ المَرَاثِي، وَمَا يُفْضِي إِلَيْهِ ذَلِكَ مِنْ سَبِّ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَلَعْنِهِمْ ... إِلَخْ.

وَهَذَا مِنَ الجَزَعِ وَالنِّيَاحَةِ لِلمَصَائِبِ القَدِيْمَةِ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَيُخَالِفُ الرِّضَا بِالقَضَاءِ، وَيُنَافِيْهِ، أَمَّا البُكَاءُ عَلَىٰ المَيِّتِ حِيْنَ وَفَاتِهِ، عَلَىٰ وَجْهِ الرَّحْمَةِ، فَقَدْ أَخْبَرَنَا النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهَا «**رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**» [1] [2].

أَقُولُ وَقَدْ فَاضَتْ دُمُوعِي عَزِيْزَةً ... أَرَىٰ الأَرْضَ تَبْقَىٰ وَالأَخِلَّاءَ تَذْهَبُ
أَخِلَّائِي لَوْ غَيْرُ المَمَاتِ أَصَابَكُمْ ... جَزِعْتُ وَلَكِنَّ مَا عَلَىٰ المَوْتِ مُعْتَبِ

٩- الحِقْدُ:

وَمِمَّا يُنَافِي الرِّضَا الحِقْدُ وَهُوَ مَرَضٌ نَابِعٌ مِنْ عَاطِفَةِ الكَرَاهِيَةِ لِلمَحْقُودِ عَلَيْهِ، وَشَهْوَةِ التَّشَفِّي مِنْهُ.

وَمَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا يَعْلَمُ أَنَّ العِبَادَ آلَةٌ، وَإِنَّهُمْ إِنَّمَا سُلِّطُوا عَلَيْهِ بِمَعَاصٍ وَذُنُوبٍ فَيَنْشَغِلُ بِإِصْلَاحِ نَفْسِهِ عَنِ الانْشِغَالِ بِغَيْرِهِ، فَذَلِكَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الرَّاحَةِ.

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٢٨٤)، وَمُسْلِمٌ (٩٢٣).
(٢) انْظُرْ: مَجَلَّةُ جَامِعَةِ أُمِّ القُرَىٰ عَدَد (١٩-٢٤) بَحْثٌ عَنِ الرِّضَا لِلشَّيْخِ/ سَالِمِ القُرَنِيِّ.



قَالَ هِلالُ بْنُ العَلا -رَحِمَهُ اللّٰه- :

« جَعَلْتُ عَلَىٰ نَفْسِي أَلَّا أُكَافِيءَ أَحَدًا بِشَرٍّ وَلاَ عُقُوقٍ اقْتِدَاءً بِهَذِهِ الأَبْيَاتِ:

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَىٰ أَحَدٍ   أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ العَدَاوَاتِ

إِنِّي أُحَيِّي عَـدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ   لِأَدْفَـعَ الشَّـرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ

وَأُظْهِرُ البِشْـرَ لِلإِنْسَانِ أُبْغِضُهُ   كَأَنَّمَا قَدْ حَشَىٰ قَلْبِي مَحَبَّاتِ

النَّاسُ دَاءٌ وَدَاءُ النَّاسِ قُرْبُهُمُ   وَفِي اعْـتِـزَالِهِـمْ قَطْعُ المَـوَدَّاتِ

فَخَالِطْ النَّاسَ وَاصْبِـرْ مَا بَقِيْتَ لَهُمْ   أَصَمُّ أَبْكَمُ أَعْمَىٰ ذَا تَقِيَّاتِ [١]

١٠ - الحَسَدُ :

وَمِمَّا يُنَافِي الرِّضَا الحَسَدُ ؛ لِأَنَّ حَقِيْقَةَ الحَسَدِ : تَمَنِّي الحَاسِدِ زَوَالَ نِعْمَةِ المَحْسُودِ أَوْ كَرَاهَةُ وُصُولِ النِّعْمَةِ إِلَىٰ المَحْسُودِ ، وَهَذَا اعْتِرَاضٌ عَلَىٰ اللهِ فِي حِكْمَتِهِ المُقْتَضِيَةِ تَخْصِيصَ المَحْسُودِ بِالنِّعْمَةِ .

فَإِنَّ تَوْزِيعَ الأَرْزَاقِ وَالأَقْوَاتِ عَلَىٰ العِبَادِ إِرَادَةٌ إِلَهِيَّةٌ نَافِذَةٌ وَمَشِيْئَةٌ عَامَّةٌ تَنْطَلِقُ مِنْ صِفَاتِ العَدْلِ وَتَمَامِ المُلْكِ وَالرَّحْمَةِ وَالإِحْسَانِ وَقُدْرَتِهِ التَّامَّةِ وَعِلْمِهِ المُحِيْطِ ،وَالحِكْمَةِ البَالِغَةِ فِي كُلِّ مَا أَعْطَىٰ وَمَا أَخَذَ،وَمَا مَنَحَ وَمَا مَنَعَ.

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَـهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ **قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ**

(١) انْظُرْ : « أَدَبُ العِشْرَةِ» (٢٥) .

﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آلُ عِمْرَانَ :٢٦] .

فَالحَسَدُ اعْتِرَاضٌ عَلَىٰ اللهِ فِيمَا قَضَىٰ وَقَدَّرَ ، فَإِنَّ غَيْظَهُ مِنْ مَحْسُودِهِ نَاتِجٌ عَنْ رُؤْيَتِهِ عَدَمَ أَهْلِيَّةِ المَحْسُودِ لِتِلْكَ النِّعْمَةِ وَعَدَمَ اسْتِحْقَاقِهِ لَهَا ، وَهَذَا الَّذِي يَسْتَلْزِمُ اتِّهَامَ الخَالِقِ فِي قِسْمَتِهِ بَيْنَ عِبَادِهِ ، وَهَذَا سُوءُ أَدَبٍ مَعَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- .

قَالَ الشَّاعِرُ :

أَلَا قُـلْ لِمَـنْ بَـاتَ لِي حَاسِدًا ... أَتَدْرِي عَلَـىٰ مَنْ أَسَأْتَ الأَدَبْ

أَسَـأْتَ عَلَـىٰ اللهِ فِي حُكْمِهِ ... لِأَنَّـكَ لَمْ تَـرْضَ لِي مَا وَهَـبْ

فَـأَخْـزَاكَ رَبِّي أَنْ زَادَانِي ... وَسَـدَّ عَلَيْكَ وُجُـوهَ الطَّلَبْ

١١-اليَأْسُ :

وَمِمَّا يُنَافِي الرِّضَا اليَأْسُ ؛ وَاليَأْسُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا اليَأْسُ !! ، اليَأْسُ هُوَ تَصَوُّرٌ فِي النَّفْسِ بِفُقْدَانِ الأَمَلِ فِي التَّخَلُّصِ مِمَّا يُعَانِيهِ مِنْ ظُرُوفٍ وَأَحْوَالٍ، وَهُوَ عَكْسُ التَّفَاؤُلِ ، وَاليَأْسُ يُعَدُّ مَرَضًا وَكُرْبَةً تُؤَثِّرُ فِي النَّفْسِ بِشَكْلٍ سَيِّءٍ دَائِمًا ، فَيَجْعَلُهَا تَتَرَاجَعُ إِلَىٰ الوَرَاءِ ، وَتَسِيرُ خَلْفَ الرَّكْبِ ، وَهُوَ مُبْتَغَىٰ الشَّيْطَانِ وَقِمَّةُ فَرَحِهِ وَسُرُورِهِ ، وَالسَّبِيلُ الوَحِيدُ الَّذِي يُخْرِجُ المُصَابَ بِدَاءِ اليَأْسِ هُوَ الرِّضَا ، وَأَنْ يَلْجَأَ إِلَىٰ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- بِخَالِصِ الدَّعَوَاتِ وَصَالِحِ الأَعْمَالِ لِيُفَرِّجَ عَنْهُ مِمَّا يُعَانِيهِ .

إِذَا بُلِيْتَ فَثِقْ بِاللهِ وَارْضَ بِهِ   إِنَّ الَّذِي يَكْشِفُ البَلْوىٰ هُوَ اللهُ
إِذَا قَضَىٰ اللهُ فَاسْتَسْلِمْ لِقُدْرَتِهِ   مَا لاِمْـرِئٍ حِيْلَةٌ فِيْمَا قَضَىٰ اللهُ
اليَأْسُ يَقْطَعُ أَحْيَانًا بِصَاحِبِهِ   لَاَ تَـيْـأَسَـنَّ فَـإِنَّ الصَّانِعَ اللهُ

١٢-تَمَنِّي الْمَوْتِ بِسَبَبِ الضُّرِّ أَوْ البَلَاءِ :

وَمِمَّا يُنَافِي الرِّضَا تَمَنِّي المَوْتِ بِسَبَبِ الضُّرِّ أَوْ البَلَاءِ ؛ فَعَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىاللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **لَاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ المَوْتَ مِنْ ضُرٍّ أَصَابَهُ ، فَإِنْ كَانَ لَاَ بُدَّ فَاعِلاً فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ أَحْيِنِيْ مَا كَانَتْ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي ، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الوَفَاةُ خَيْرًا لِي** » [١] .

أَفَادَ الحَدِيْثُ النَّهْيَ عَنْ تَمَنِّي المَوْتِ وَحَمَلَهُ قَوْمٌ عَلَىٰ الضُّرِّ الدُّنْيَوِيِّ، فَإِنْ وَجَدَ الضُّرَّ الأُخْرَوِيَّ بِأَنْ يَخْشَىٰ الفِتْنَةَ فِي دِيْنِهِ لَمْ يَدْخُلْ فِي النَّهْيِ لِحَدِيْثِ : «**لَاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ : يَالَيْتَنِيْ مَكَانَهُ**» [٢].

وَلِحَدِيْثِ : « **وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ**» [٣].

وَتَمَنِّي مُطْلَقِ المَوْتِ فِيهِ نَوْعُ اعْتِرَاضٍ عَلَىٰ اللهِ وَمُرَاغَمَةٌ لِلْقَدَرِ المَحْتُومِ»[٤].

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٦٧١)، ومُسْلِمٌ (٢٦٨٠) .

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٧١١٥)، ومُسْلِمٌ (١٥٧) .

(٣) (صَحِيْحٌ)رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ(٣٥٤١)،وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِـيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي (صَحِيحِ التِّرمِذِيِّ) (٢٥٨٠) .

(٤) « فَتْحُ البَارِيِّ» (١٠/ ١٢٨-١٣١) .

وَقَالَ النَّوَوِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

« فِي الحَدِيْثِ التَّصْرِيْحُ بِكَرَاهَةِ تَمَنِّي المَوْتِ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ مِنْ فَاقَةٍ أَوْ مِحْنَةٍ بِعَدُوٍّ وَنَحْوِهِ مِنْ مَشَاقِّ الدُّنْيَا ، فَأَمَّا إِذَا خَافَ ضَرَرًا أَوْ فِتْنَةً فِي دِيْنِهِ فَلاَ كَرَاهَةً» (١) .

١٣- سُؤَالُ النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ :

وَمِمَّا يُنَافِي الرِّضَا سُؤَالُ النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ ؛ قَالَ ابْنُ القَيِّمِ –رَحِمَهُ اللهُ– :

« وَالمَسْأَلَةُ فِي الأَصْلِ حَرَامٌ ، وَإِنَّمَا أُبِيْحَتْ لِلحَاجَةِ والضَّرُورَةِ ، لِأَنَّهَا ظُلْمٌ فِي حَقِّ الرُّبُوبِيَّةِ ، وَظُلْمٌ فِي حَقِّ المَسْئُولِ ، وَظُلْمٌ فِي حَقِّ السَّائِلِ .

أَمَّا الأَوَّلُ : فَلأَنَّهُ بَذَلَ سُؤَالَهُ وَفَقْرَهُ وَذُلَّهُ واسْتِعْطَاءَهُ لِغَيْرِ اللهِ ، وَذَلِكَ نَوْعُ عُبُودِيَّةٍ ، فَوَضَعَ المَسْأَلَةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا ، وَأَنْزَلَهَا بِغَيْرِ أَهْلِهَا ، وَظَلَمَ تَوْحِيْدَهُ وَإِخْلَاصَهُ ، وَفَقْرَهُ إِلَى اللهِ ، وَتَوَكُّلَهُ عَلَيْهِ وَرِضَاهُ بِقَسْمِهِ ، وَاسْتَغْنَىٰ بِسُؤَالِ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَةِ رَبِّ النَّاسِ ، وَذَلِكَ كُلُّهُ يَهْضِمُ مِنْ حَقِّ التَّوْحِيْدِ، وَيُطْفِئُ نُورَهُ وَيُضْعِفُ قُوَّتَهُ .

وَأَمَّا ظُلْمُهُ لِلمَسْئُولِ : فَلأَنَّهُ سَأَلَهُ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ ، فَأَوْجَبَ لَهُ بِسُؤَالِهِ عَلَيْهِ حَقًّا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ ، وَعَرَّضَهُ لِمَشَقَّةِ البَذْلِ ، أَوْ لَوْمِ المَنْعِ ، فَإِنْ أَعْطَاهُ ، أَعْطَاهُ عَلَىٰ كَرَاهَةٍ ، وَإِنْ مَنَعَهُ مَنَعَهُ عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ وَإِغْمَاضٍ ، هَذَا إِذَا سَأَلَهُ مَا لَيْسَ عَلَيْهِ ، وَأَمَّا إِذَا سَأَلَهُ حَقًّا هُوَ لَهُ عِنْدَهُ ، فَلَمْ يَدْخُلْ فِي ذَلِكَ ، وَلَمْ

(١) « المَرْجِعُ السَّابِقُ» (٢٠/ ٢٧٩) .





يَظْلِمْهُ بِسُؤَالِهِ .

وَأَمَّا ظُلْمُهُ لِنَفْسِهِ : فَإِنَّهُ أَرَاقَ مَاءَ وَجْهِهِ ، وَذَلَّ لِغَيْرِ خَالِقِهِ ، وَأَنْزَلَ نَفْسَهُ أَدْنَىٰ المَنْزِلَتَيْنِ ، وَرَضِيَ لَهَا بِأَبْخَسِ الحَالَتَيْنِ ، وَرَضِيَ بِإِسْقَاطِ شَرَفِ نَفْسِهِ، وَعِزَّةِ تَعَفُّفِهِ، وَرَاحَةِ قَنَاعَتِهِ ، وَبَاعَ صَبْرَهُ وَرِضَاهُ وَتَوَكُّلَهُ ، وَقَنَاعَتَهُ بِمَا قُسِمَ لَهُ ، وَاسْتِغْنَاءَهُ عَنِ النَّاسِ بِسُؤَالِهِمْ ، وَهَذَا عَيْنُ ظُلْمِهِ لِنَفْسِهِ إِذْ وَضَعَهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا ، وَأَخْمَلَ شَرَفَهَا ، وَوَضَعَ قَدْرَهَا ، وَأَذْهَبَ عِزَّهَا ، وَصَغَّرَهَا وَحَقَّرَهَا ، وَرَضِيَ أَنْ تَكُونَ نَفْسُهُ تَحْتَ نَفْسِ المَسْئُولِ ، وَيَدُهُ تَحْتَ يَدِهِ، وَلَوْلَا الضَّرُورَةُ لَمْ يُبَحْ ذَلِكَ فِي الشَّرْعِ [١] .

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ** » [٢].

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّرًا ، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا ، فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ** » [٣] .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لِأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ**

(١) « مَدَارِجُ السَّالِكِينَ » (٢/ ٢٢٣) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٤٧٥) ، ومُسْلِمٌ (١٠٤٠) .
(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٠٤١) .



١٠٥

فَيَحْتَطِبَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ، فَيَتَصَدَّقَ بِهِ عَلَى النَّاسِ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ يَأْتِيَ رَجُلاً فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ » [١] .

وَفِي صَحِيح مُسْلِم عَنْهُ أَيْضًا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «لِأَنْ يَغْدُو أَحَدُكُمْ فَيَحْتَطِبَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ، فَيَتَصَدَّقَ بِهِ ، وَيَسْتَغْنِيَ بِهِ عَنِ النَّاسِ : خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلاً أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ، ذَلِكَ بِأَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَىٰ ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ » [٢] .

قَالَ أَبُو تَمَّام -رَحِمَهُ اللهُ-:

ذُلُّ السُّؤَالِ شَجيٌ فِي الحَلْقِ مُعْتَرِضُ ... مِنْ دُونِهِ شَرَقٌ مِنْ خَلْفِهِ جَرَضُ
مَا مَاءُ كَفِّكَ إِنْ جَادَتْ وَإِنْ بَخِلَتْ ... مِنْ مَاءِ وَجْهِي إِذَا أَفْنَيْتُهُ عِوَضُ

وَقَالَ غَيْرُهُ :

لَنَقْلُ الصَّخْرِ مِنْ قُلَلِ الجِبَالِ ... أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِنَنِ الرِّجَالِ
يَقُولُ النَّاسُ لِي فِي الكَسْبِ عَارٌ ... فَقُلْتُ العَارُ فِي ذُلِّ السُّؤَالِ
بَلَوْتُ النَّاسَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ ... وَلَمْ أَرَ مِثْلَ مُخْتَالٍ بِمَالِ
وَذُقْتُ مَرَارَةَ الأَشْيَاءِ طُرًّا ... فَمَا طَعْمٌ أَمَرُّ مِنَ السُّؤَالِ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٤٧٠) ، ومُسْلِمٌ (١٠٤٢) .
(٢)رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٠٣٦) .

١٠٦

وَلَمْ أَرَ فِي الخُطُوبِ أَشَدَّ هَوْلًا ... وَأَصْعَبَ مِنْ مَقَالاَتِ الرِّجَالِ

وَقَالَ غَيْرُهُ :

أَفَادَتْنِي القَنَاعَةُ كُلَّ عِزٍّ ... وَهَلْ عِزٌّ أَعَزُّ مِنَ القَنَاعَةْ
فَصَيِّرْهَا لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ ... وَصَيِّرْ بَعْدَهَا التَّقْوَىٰ بِضَاعَةْ
تَحُزْ رِبْحًا وَتُغْنِي عَنْ بَخِيلٍ ... وَتَنْعَمْ فِي الجِنَانِ بِصَبْرِ سَاعَةْ

١٤ - عَدَمُ الرِّضَا بِالمَقْسُومِ مِنَ الرِّزْقِ :

وَمِمَّا يُنَافِي الرِّضَا عَدَمُ الرِّضَا بِالمَقْسُومِ مِنَ الرِّزْقِ ؛ وَهُوَ عَدَمُ القَنَاعَةِ الَّتِي هِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِالرِّضَا ، فَإِذَا رَضِيَ العَبْدُ عَنْ رَبِّهِ قَنِعَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ مُرْتَاحٌ لِذَلِكَ وَهُنَاكَ عِلَاقَةٌ مَتِينَةٌ بَيْنَ القَنَاعَةِ وَالرِّضَا ، وَلِذَلِكَ عَرَّفَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ القَنَاعَةَ بِالرِّضَا وَالقَانِعَ بِالرِّضَا [١].

وَتُعَرَّفُ القَنَاعَةُ بِأَنَّهَا التَّقَنُّعُ بِاليَسِيرِ [٢].

تَقَنَّعْ بِمَا يَكْفِيكَ وَاسْتَعْمِلِ الرِّضَا ... فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصْبِحُ أَمْ تُمْسِي
فَلَيْسَ الغِنَىٰ عَنْ كَثْرَةِ العَرْضِ إِنَّمَا ... يَكُونُ الغِنَىٰ وَالفَقْرُ مِنْ قِبَلِ النَّفْسِ [٣]

---

(١) « اللِّسَانُ » مَادَةُ (قَنِعَ) (١١/ ٣٢١) .
(٢) «مُعْجَمُ مَقَايِيسُ اللُّغَةِ» ، مَادَةُ (قَنِعَ) (٥/ ٣٣) .
(٣) «جَامِعُ العُلُومِ وَالحِكَمِ » (١/ ٧٤٢) .

١٠٧



١٥- : قَوْلُ (لَوْ) بَعْدَ المُصِيبَةِ :

وَمِمَّا يُنَافِي الرِّضَا عَدَمُ الرِّضَا قَوْلُ [لَوْ] بَعْدَ المُصِيبَةِ فَمَثَلاً إِذَا أَصَابَ وَلَدَكَ مَرَضٌ ثُمَّ مَاتَ قُلْتَ لَوْ ذَهَبْتُ بِابْنِي إِلَىٰ الطَّبِيبِ بِسُرْعَةٍ مَا مَاتَ ، أَوْ لَوْ أَنِّي مَا سَافَرْتُ مَا أُصِبْتُ بِحَادِثِ السَّيَارَةِ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَمَارَةُ عَدَمُ الرِّضَا، بَلْ هُوَ ضِدُّهُ كَمَا هُوَ اعْتِرَاضٌ عَلَىٰ القَدْرِ، وَهَذَا مُحَرَّمٌ .

وَقَالَ اللهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [آلُ عِمْرَانَ ١٥٦] .

وَقَالَ اللهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– عَنِ المُنَافِقِيْنَ : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ﴾ فَرَدَّ اللهُ –تَعَالَىٰ– مُكَذِّبًا لَهُمْ : ﴿ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [آلُ عِمْرَانَ ١٦٨] .

وَمَنْ اعْتَرَضَ عَلَىٰ القَدَرِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرْضَ بِاللهِ رَبًّا ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللهِ رَبًّا؛ فَإِنَّهُ لَمْ يُحَقِّقْ تَوْحِيْدَ الرُّبُوبِيَّةِ .

إِذًا يَجِبُ عَلَيْكَ التَّسْلِيْمُ بِمَا حَصَلَ ، وَاليَقِيْنُ بِأَنَّ مَا أَصَابَكَ لَابُدَّ مِنْ حُصُولِهِ ، وَأَنَّهُ مَا شَاءَ اللهُ لَابُدَّ أَنْ يَقَعَ وِفْقَ مَشِيْئَتِهِ – جَلَّ وَعَلَا– [(١)] .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ:

---

(١) « انْظُرْ: جَنِي اللُّبَابِ فِيمَا وَرَدَ فِي الصَّبْرِ وَالاحْتِسَابِ » لِلزَّوْجَةِ أُمِّ الفَضْلِ ، أَمَةِ الرَّحْمَنِ بِنْتِ عَلِيٍّ الفَقِيهِ ، ص (٩٠) ، مِنْ مَطْبُوعَاتِ دَارُ الإِيْمَانِ – الإِسْكَنْدَرِيَّةِ.

« احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلاَ تَعْجَزْ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ : قَدَّرَ اللهُ وَمَاشَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ » [١] .

قَالَ السَّعْدِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- :

« إِذَا أَصَابَ العَبْدَ مَا يَكْرَهُهُ ، فَلَا يَنْسُبْ ذَلِكَ إِلَىٰ تَرْكِ بَعْضِ الأَسْبَابِ الَّتِي يَظُنُّ نَفْعَهَا لَوْ فَعَلَهَا ، بَلْ يَسْكُنْ إِلَىٰ قَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ ؛ لِيَزْدَادَ إِيمَانُهُ، وَيَسْكُنَ قَلْبُهُ ، وَتَسْتَرِيحَ نَفْسُهُ ؛ فَإِنَّ (لَوْ) فِي هَذِهِ الحَالِ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ بِنَقْصِ إِيمَانِهِ بِالقَدَرِ ، وَاعْتِرَاضِهِ عَلَيْهِ ، وَفَتْحِ بَابِ الهَمِّ والحُزْنِ المُضْعِفِ لِلقَلْبِ » [٢].

سُبْحَانَ مَنْ فِي ذِكْرِهِ طُرُقُ الرِّضَا ... مِنْهُ وَفِيهِ الرُّوْحُ وَالرَّيْحَانُ

مَلِكٌ لَهُ ظَهْرُ القَضَاءِ وَبَطْنُهُ ... لَمْ تَبْلِ جِدَّةَ مُلْكِهِ الأَزْمَانُ

١٦- : سَبُّ المَرَض :

وَمِمَّا يُنَافِي الرِّضَا سَبُّ المَرَضِ : وَرَدَ فِي الحَدِيثِ النَّهْيُّ عَنْ سَبِّ مَرَضِ الحُمَّىٰ ، لِأَنَّهَا مِنْ قَدَرِ اللهِ -تَعَالَىٰ- ، وَهِيَ تُكَفِّرُ خَطَايَا المُسْلِمِ ، وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ النَّهْيُ عَنْ سَبِّ عُمُومِ الأَمْرَاضِ ، لاشْتِرَاكِ الأَمْرَاضِ كُلِّهَا فِي كَوْنِهَا مِنْ قَدَرِ اللهِ -تَعَالَىٰ- ، وَمِنْ كَوْنِهَا مُكَفِّرَةً لِلخَطَايَا .

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٦٦٤) .

(٢) « بَهْجَةُ قُلُوبِ الأَبْرَارِ » (٣٩-٤٠) .

فَعَنْ جَابِرُ بْنُ عَبْد اللَّهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ، قَالَتْ: الْحُمَّى لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا، فَقَالَ: «**لَا تَسُبِّي الْحُمَّىٰ، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيد**»[١].

الْحُمَّىٰ هِيَ السُّخُونَةُ وَهِيَ نَوْعٌ مِنَ الأَمْرَاضِ وَهِيَ أَنْوَاعٌ مُتَعَدِّدَةٌ وَلَكِنَّهَا تَكُونُ بِقَدَرِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- فَهُوَ الَّذِي يُقَدِّرُهَا وُقُوْعًا وَيَرْفَعُهَا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَفْعَالِ اللهِ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَسُبُّهُ لأَنَّ سَبَّهُ سَبًّا لِخَالِقِهِ -جَلَّ وَعَلَا- وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ** » .

فَنَهَىٰ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ سَبِّهَا وَعَلَى الْمَرْءِ إِذَا أُصِيبَ أَنْ يَصْبِرَ وَيَحْتَسِبَ الأَجْرَ عَلَىٰ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَأَخْبَرَ أَنَّهَا تَذْهَبُ بِالْخَطَايَا كَمَا يُذْهِبُ الكِيْرُ بِخَبَثِ الحَدِيْدِ فَإِنَّ الحَدِيْدِ إِذَا صُهِرَ عَلَىٰ النَّارِ ذَهَبَ خَبَثُهُ وَبَقِيَ صَافِيًا ، كَذَلِكَ الحُمَّىٰ تَفْعَلُ فِي الإِنْسَانِ .

الْمُهِمُّ أَنَّ الإِنْسَانَ يَصْبِرُ وَيَحْتَسِبُ عَلَىٰ كُلِّ الأَمْرَاضِ لَا يَسُبُّهَا[٢].

إِذَا كَانَ لِلنَّاسِ أُنْسٌ بِمَا ... يَنَالُونَهُ مِنْ مَتَاعِ الحَيَاةِ
فَإِنَّ سُرُورِي وَأُنْسِي بِمَنْ ... هَدَانِي وَسَيَّرَنِي فِي رِضَاهُ
أُسَلِّي فُؤَادِي بِآلَائِهِ ... وَلَا أَنْحَنِي لِعَظِيمٍ سِوَاهُ

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٥٧٥) .
(٢) « شَرْحُ رِيَاضِ الصَّالِحِيْنَ » (١٣/ ٢١٢) .




الفَصْلُ الثَّالِثُ
مَا لَا يُنَافِي الرِّضَا

١ - التَّأَلُّمُ مِنَ الأَمْرَاضِ وَالأَوْجَاعِ :

وَمِنَ الأُمُورِ الَّتِي لاَ تُنَافِي الرِّضَا : التَّأَلُّمُ مِنَ الأَمْرَاضِ وَالأَوْجَاعِ، والإِخْبَارُ بِمَا يَجِدُهُ الإِنْسَانُ مِنْ ذَلِكَ ، كَالإِخْبَارِ بِمَا يَجِدُهُ مِنَ الجُوعِ والفَقْرِ، مِنْ غَيْرِ ضَجَرٍ، أَوْ جَزَعٍ ، أَوْ سَخَطٍ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ، بَلْ لِلتَّسْلِيَةِ والتَّصَبُّرِ[١].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ **فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا** ﴿٦٢﴾ ﴾ [الكَهْف:٦٢] ، أَيْ : تَعَبًا[٢] .

وَقَدْ خَرَجَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَاتَ لَيْلَةٍ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- فَقَالَ:« **مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟** »، قَالاَ : الجُوْعُ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : « **وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا ، قُومُوا** » ، فَقَامُوا مَعَهُ فَأَتَىٰ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ فَلَمَّا رَأَتْهُ المَرَأَةُ قَالَتْ : مَرْحَبًا وَأَهْلاً ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ

(١) « شَرْحُ صَحِيْحِ مُسْلِمٍ لِلنَّوَوِيِّ » (١٣/ ٢١٢) .
(٢) «تَفْسِيرُ القُرْطُبِيِّ» (١١/ ١٤) .



عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **أَيْنَ فُلانٌ ؟** »، قَالَتْ : ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ المَاءِ ، إِذْ جَاءَ الأَنْصارِيُّ ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَصَاحِبَيْهِ ثُمَّ قَالَ : الحَمْدُ للهِ ، مَا أَحَدٌ اليَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي ، قَالَ : فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيْهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فَقَالَ : كُلُوا مِنْ هَذِهِ ، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **إِيَّاكَ والحَلُوبَ** » ، فَذَبَحَ لَهُمْ فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ، وَمِنْ ذَلِكَ العِذْقِ ، وَشَرِبُوا ، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوَوا ، قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -: « **لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيْمِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ الجُوْعُ ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّىٰ أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيْمُ** »[1] .

وَقَالَ اللهُ عَنْ يَعْقُوبَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [يُوسُفُ : ٨٦] .

وَقَالَ اللهُ عَنْ أَيُّوبَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- : ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأَنْبِيَاء : ٨٣-٨٤] .

فَالتَّأَلُّمُ والشَّكْوَىٰ إِلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ- لاَ يُنَافِيَانِ الرِّضَا بِالقَضَاءِ ، فَهُمَا زِيَادَةُ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الأَشْرِبَةِ ، بَابُ جَوَازِ اسْتِتْبَاعِهِ غَيْرَهُ إِلَىٰ دَارِ مَنْ يُثِقُ بِرِضَاهُ بِذَلِكَ وَيَتَحَقَّقُ تَحْقِيقًا تَامًّا (٣/ ١٦٠٩) .

عِبَادَةِ للهِ -تَعَالَىٰ- إذْ لَمْ يُصَاحِبْهَا تَسَخُّطٌ عَلَىٰ المَقْدُورِ ، ثُمَّ إنَّ الأَلَمَ لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَىٰ رَفْعِهِ إلَّا اللهُ ، والنُّفُوسِ مَجْبُولَةٌ عَلَىٰ وِجْدَانِ ذَلِكَ ، فَلاَ يُستَطَاعُ تَغْيِيرُهَا عَمَّا جُبِلَتْ عَلَيْهِ [١] .

وَفِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ ، أَنَّ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ : وَا رَأْسَاهُ ... فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **بَلْ أَنَا وَا رَأْسَاهُ** » [٢] .

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- :

وَقَدْ أَشْكَلَ عَلَىٰ بَعْضِ النَّاسِ اجْتِمَاعُ الرِّضَا مَعَ التَّأَلُّمِ، وَظَنَّ أَنَّهُمَا مُتَبَايِنَانِ، وَلَيْسَ كَمَا ظَنَّهُ، فَالْمَرِيضُ الشَّارِبُ لِلدَّوَاءِ الْكَرِيهِ مُتَأَلِّمٌ بِهِ رَاضٍ بِهِ، وَالصَّائِمُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ مُتَأَلِّمٌ بِصَوْمِهِ رَاضٍ بِهِ ... فَالتَّأَلُّمُ كَمَا لَا يُنَافِي الصَّبْرَ لَا يُنَافِي الرِّضَا بِهِ.

وَهَذَا الْخِلَافُ بَيْنَهُمْ إِنَّمَا هُوَ فِي الرِّضَا بِقَضَائِهِ الْكَوْنِيِّ، وَأَمَّا الرِّضَا بِهِ رَبًّا وَإِلَهًا، وَالرِّضَا بِأَمْرِهِ الدِّينِيِّ فَمُتَّفَقٌ عَلَىٰ فَرْضِيَّتِهِ، بَلْ لَا يَصِيرُ الْعَبْدُ مُسْلِمًا إِلَّا بِهَذَا الرِّضَا أَنْ يَرْضَىٰ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَسُولًا [٣].

---

(١) انْظُرْ « فَتْحَ البَارِيِّ » (١٠/ ١٢٤) وَ« العُبُودِيَّةَ » ، لابْنِ تَيْمِيَةَ (ص ٩٣-٩٥) ، وَ« مَجْمُوعِ الفَتَاوَىٰ » (١٤/ ٥٨) .

(٢) « صَحِيحٌ » أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ فِي كِتَابِ المَرْضَىٰ ، بَابُ مَا رُخِّصَ لِلمَرِيضِ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي وَجِعٌ ، أَوْ وَا رَأْسَاهُ ، أَوْ اشْتَدَّ بِيَ الوَجَعُ .

(٣) « مَدَارِجُ السَّالِكِيْنَ » (١/ ١١٢) .

فَإِخْبَارُ المَرِيْضِ بِشِدَّةِ مَرَضِهِ ، وَقُوَّةِ أَلَمِهِ جَائِزٌ ، إِذَا لَمْ يَقْتَرِنْ بِذَلِكَ شَيْءٌ مِمَّا يُمْنَعُ أَوْ يُكْرَهُ ، مِنَ التَّبَرُّمِ وَعَدَمِ الرِّضَا ، وَهَذَا أَثْنَاءَ المَرَضِ .

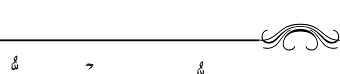
فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ عَنْ أَبِيْهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ : «دَخَلْتُ عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيْهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَسَأَلْتُهُ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟، فَاسْتَوىٰ جَالِسًا ، فَقُلْتُ : أَصْبَحْتَ بِحَمْدِ اللهِ بَارِئًا؟، قَالَ: أَمَّا إِنِّي عَلَىٰ مَا تَرَىٰ وَجِعٌ »[1] .

وَقَالَ عُرْوَةُ : دَخَلْتُ أَنَا وَعَبْدُ اللهِ بنُ الزُّبَيْرِ عَلَىٰ أَسْمَاءَ - يعْنِي بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ وَهِيَ أُمُّهُمَا - وَأَسْمَاءُ وَجِعَةٌ ، فَقَالَ لَهَا عَبْدُ اللهِ : كَيْفَ تَجِدِيْنَكِ؟، قَالَتْ: وَجِعَةٌ[2] .

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ أَثْنَاءَ المَرَضِ ، فَمِنْ بَابٍ أَوْلَىٰ جَوَازُ الإِخْبَارِ بِذَلِكَ بَعْدَ البُرْءِ[3] .

هَوِّنْ عَلَىٰ نَفْسِكَ فِي سَعْيِهَا   فَلَيْسَ مَا قُدِّرَ مَرْدُودُ
وَارْضَ بِحُكْمِ اللهِ فِي خَلْقِهِ   كُلُّ قَضَاءٍ مِنْهُ مَحْمُودُ[4]

(١) «فَتْحُ البَارِيِّ» (١٠/ ١٢٤) .
(٢) «فَتْحُ البَارِيِّ» (١٠/ ١٢٤) .
(٣) «فَتْحُ البَارِيِّ» (٥/ ٣٦٨) .
(٤) «الرِّضَا بِالقَضَاءِ» لِلشَّيْخِ/ سَالِمِ القَرَنِيِّ ، ضِمْنَ مَجَلَّةِ أُمِّ القُرَىٰ ، عَدَد (١٩-٢٤) .




٢- الدُّعَاءُ بِرَفْعِ الضُّرِّ :

وَمِنَ الأُمُورِ الَّتِي لاَ تُنَافِي الرِّضَا الدُّعَاءُ بِرَفْعِ الضُّرِّ ، فَقَدْ حَثَّنَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَىٰ سُؤَالِ العَافِيَةِ ، فَقَالَ : « **لاَ تَتَمَنَّوْ لِقَاءَ العَدُو، وَسَلُوا اللهَ العَافِيَةَ** » (١).

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا عَادَ مَرِيْضًا قَالَ : «**اللَّهُمَّ أَذْهِبْ البَأْسَ رَبَّ النَّاسِ ، وَاشْفِ فَأَنْتَ الشَّافِي ، لاَ شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا** » (٢) .

وَجَاءَ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي العَاصِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يَشْكُو أَلَمًا يَجِدُهُ فِي بَدَنِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **ضَعْ يَدَكَ عَلَىٰ الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ ، وَقُلْ : بِاسْمِ اللهِ ثَلاثًا ، وَقُلْ : سَبْعَ مَرَّاتٍ : أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ** » (٣) .

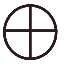
وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- عَنْ صَفْوَةِ خَلْقِهِ ، وَهُمُ الأَنْبِيَاءُ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أَنَّهُمْ دَعْوَهُ لِرَفْعِ الضُّرِّ ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -:

﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٧٢٣٧) ، ومُسْلِمٌ (١٧٤٢) .

(٢) (صَحِيْحٌ) رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ (٣٥٦٥)، وَقَالَ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي (الصَّحِيْحَةِ) (٣١٠٤): صَحِيْحٌ لِغَيْرِهِ .

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٢٠٢) .



مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

وَثَبَتَ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمَّا سَحَرَهُ لُبَيْدُ بْنُ الأَعْصَمِ اليَهُودِيُّ، دَعَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَبَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أَنْ يُعَافِيَهُ مِنَ هَذَا البَلَاءِ.

عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: سَحَرَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ، يُقَالَ لَهُ لُبَيْدَ بْنُ الأَعْصَمِ، قَالَتْ: حَتَّىٰ كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ دَعَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ قَالَ: « **يَا عَائِشَةُ، أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ ...** » إِلَخ الحَدِيْثِ [١].

قَالَ النَّوَوِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-:

«حَتَّىٰ إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ دَعَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢١٨٩).

وَسَلَّمَ- ثُمَّ دَعَا ،ثُمَّ دَعَا ، هَذا دَلِيْلٌ لاسْتِحْبَابِ الدُّعَاءِ عِنْدَ حُصُولِ الأُمُورِ المَكْرُوهَاتِ ، وَتَكْرِيْرِهِ ، وَحُسْنِ الالْتِجَاءِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ » انْتَهَى[1] .

وبهَذَا يَظْهَرُ أَنَّهُ لاَ تَعَارُضَ بيْنَ الدُّعَاءِ برَفْعِ البَلاَءِ وَالرِّضَا ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَمَرَنَا بِدُعَائِهِ والتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ ، وَدُعَاؤُنَا لَهُ عِبَادَةٌ ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غَافِرُ : ٦٠] .

وَدَعَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَبَّهُ ، وَهُوَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَكْمَلُ النَّاسِ رِضًا بِقَضَاءِ اللهِ ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الدُّعَاءَ لاَ يُنَافِي الرِّضَا .

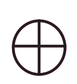
إِنْ مَسَّنَا الضُّرُّ أَوْ ضَاقَتْ بِنَا الحِيَلُ ... فَلَنْ يَخِيْبَ لَنَا فِي رَبِّنَا أَمَلُ

اللهُ فِي كُلِّ خَطْبٍ حَسْبُنَا وَكَفَى ... إِلَيْهِ يَرْفَعُ شَكْوَانَا وَنَبْتَهِلُ

مَنْ ذَا نَلُوذُ بِهِ فِي كَشْفِ كُرْبَتِنَا ... وَمَنْ عَلَيْهِ سِوَىٰ الرَّحْمَنِ نَتَّكِلُ

فَافْزَعْ إِلَىٰ اللهِ واقْرَعْ بَابَ رَحْمَتِهِ ... فَهُوَ الرَّجَاءُ لِمَنْ أَعْيَتْ بِهِ السُّبُلُ

(١) « شَـرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَـىٰ مُسْلِمٍ » (٧/ ٣٢٨) .

١١٨




البَابُ الخَامسُ
جَنَى اللُّبَاب

الفَصْلُ الأَوَّلُ
ثِمَارُ الرِّضَا

وَتَحْتَهُ عَشْرُ مَبَاحِث :

المَبْحَثُ الأَوَّلُ : أَهْلُ الرِّضَا يَتَنَعَّمُونَ بِجَنَّةِ الدُّنْيَا .

المَبْحَثُ الثَّاني : الرِّضَا سَبَبُ سَعَادَةِ العَبْدِ .

المَبْحَثُ الثَّالِثُ : الرِّضَا سَبَبُ السَّكِيْنَةِ .

المَبْحَثُ الرَّابِعُ : الرِّضَا يُثْمِرُ الشُّكْرَ .

المَبْحَثُ الخَامِسُ : الرِّضَا يُثْمِرُ القَناعَةَ.

المَبْحَثُ السَّادِسُ : الرِّضَا سَبَبُ الطُّمَأْنِيْنَةِ .

المَبْحَثُ السَّابِعُ : الرِّضَا سَبَبُ الأَمْنِ .

المَبْحَثُ الثَّامِنُ : الرِّضَا عِلاَجٌ لِجَمِيْعِ الأَمْرَاضِ النَّفْسِيَّةِ .

المَبْحَثُ التَّاسِعُ : الرِّضَا عِلاَجُ الهَمِّ والغَمِّ والحَزَنِ .




١١٩

الفَصْلُ الثَّاني

رِضَا رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ





البَابُ الخَامسُ
جَنَىُ اللُّبَابِ

الفَصْلُ الأَوَّلُ
ثِمَارُ الرِّضَا

١ - أَهْلُ الرِّضَا يَتَنَعَّمُونَ بِجَنَّة الدُّنْيَا :

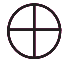
أَهْلُ الرِّضَا يَتَنَعَّمُونَ بِجَنَّةِ الدُّنْيَا عَلَىٰ حَقِيْقَتِهَا،وَهَذَا مُجَرَّبٌ مُشَاهَدٌ بِالعَيَانِ.

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللّه- :

« إِنَّ الرِّضَا يُثْمِرُ سُرُورَ القَلْبِ بِالمَقْدُورِ فِي جَمِيْعِ الأُمُورِ ، وَطِيْبَ النَّفْسِ وَسُكُونَهَا فِي كُلِّ حَالٍ ، وَطَمَأْنِيْنَةَ القَلْبِ عِنْدَ كُلِّ مَفْزَعٍ وَمَهْلَعٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا ، وَبَرْدَ القَنَاعَةِ وَاغْتِبَاطَ العَبْدِ بِقَسْمِهِ مِنْ رَبِّهِ ، وَفَرَحَهُ بِقِيَامِ مَوْلاَهُ عَلَيْهِ ، وَاسْتِسْلاَمَهُ لِمَوْلاَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَرِضَاهُ مِنْهُ بِمَا يُجْرِيْهِ عَلَيْهِ ، وَتَسْلِيْمَهُ لَهُ الأَحْكَامَ وَالقَضَايَا ، وَاعْتِقَادَ حُسْنِ تَدْبِيْرِهِ ، وَكَمَالِ حِكْمَتِهِ ، وَيُذْهِبُ عَنْهُ شَكْوَىٰ رَبِّهِ إِلَىٰ غَيْرِهِ وَتَبَرُّمَهُ بِأَقْضِيَتِهِ »[١].

---

(١) « مَدَارِجُ السَّالِكِيْـنَ » (٢/ ٢٢٠) .



١٢١

دَعِ المَقَادِيْرَ تَجْـرِيْ فِي أَعِنَّتِهَا ... وَلاَ تَبِيْتَنَّ إِلَّا خَـالِي البَالِ

مَا بَيْـنَ غَمْضَةِ عَيْنٍ وَانْتِبَاهَتِهَا ... يُغَيِّـرُ اللهُ مِـنْ حَـالٍ إِلَىٰ حَالِ

٢-الرِّضَا سَبَبُ سَعَادَةِ العَبْدِ :

وَالسَّعَادَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا السَّعَادَةُ ، هِيَ مُعَاوَنَةُ اللهِ لِلإِنْسَانِ عَلَىٰ نَيْلِ الخَيْرِ وَتُضَادُّ الشَّقَاوَةَ (١).

فَمَنْ أَرَادَ السَّعَادَةَ فَطَرِيْقُهَا قَوْلُ اللهِ – سُبْحَانَـهُ وَتَعَالَىٰ –: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [طَهَ : ١٢٣] .

وَمَنْ يَتْرُكْ طَرِيْقَهَا فَقَدْ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ المَعِيْشَةَ الضَّنْكَا ، قَالَ اللهِ – سُبْحَانَـهُ وَتَعَالَىٰ –: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طَهَ : ١٢٤] .

فَمَنْ أَثَرَ لَذَّةَ الوِسَادَةِ عَلَىٰ لَذَّةِ العِبَادَةِ فَقَدَ السَّعَادَةَ .

وَكَانَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ –رَحِمَهُ اللهُ– يَقُولُ: مَنْ أَرَادَ السَّعَادَةَ الأَبَدِيَّةَ، فَلْيَلْزَمْ عَتَبَةَ العُبُودِيَّةِ (٢).

وَقَالَ المَاوَرْدِيُّ -رَحِمَهُ اللّهُ- :

« مِنْ تَمَامِ السَّعَادَةِ وَحُسْنِ التَّوْفِيْقِ الرِّضَا بِالقَضَاءِ، وَالقَنَاعَةُ بِالقَسَمِ » (٣).

---

(١) « المُعْجَمُ الوَسِيْطُ» (١/ ٤٣٠) .

(٢) « مَدَارِجُ السَّالِكِيْـنَ » (١/ ٤٢٩) .

(٣) « أَدَبُ الدُّنْيَا والدِّيْنِ » (٢٢٥) .

١٢٢

وَهَذَا هُوَ بَيْتُ القَصِيْدِ وَمَرْبَطُ الفَرَسِ ، قَالَ ابْنُ القَيِّمِ –رَحِمَهُ اللهُ– :

« إِنَّ الرِّضَا بِالمَقْدُورِ مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ ، وَسَخَطَهُ مِنْ شَقَاوَتِهِ » [١] .

قَالَ مُصْطَفَى حمام -رَحِمَهُ اللّه- :

أَنَــا رَاضٍ بِكُلِّ مَـا كَتَبَ اللهُ ... وَمُـــزْجٍ إِلَـيْــهِ حَمْــدًا جَـزِيْـلاً

أَنَا رَاضٍ بِكُلِّ صِنْفٍ مِنَ النَّاسِ ... لَـئِـيْـماً أَلَـفَـيْـتُـهُ أَوْ نَـبِـيْـلاً

فَالرِّضَا نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ لَمْ يُسْعِدْ ... بِهَــا فِي الـعِـبَـادِ إِلَّا القَلِيْلاً

٣- الرِّضَا سَبَبُ السَّكِيْنَة:

الرِّضَا سَبَبُ السَّكِيْنَةِ ، وَالسَّكِيْنَةُ هِيَ الوَقَارُ ، وَالطُّمَأْنِيْنَةُ وَمُفَارَقَةُ الاضْطَرَابِ عِنْدَ الغَضَبِ والخَوْفِ .

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ –رَحِمَهُ اللهُ– : « السَّكِيْنَةُ إِذَا نَزَلَتْ عَلَىٰ الْقَلْبِ اطْمَأَنَّ ، وَسَكَنَتْ إِلَيْهَا الجَوَارِحُ ، وَخَشَعَتْ ، واكْتَسَبَتْ الوَقَارَ ، وَأَنْطَقَتْ اللِّسَانَ بِالصَّوَابِ والحِكْمَةِ ، وَحَالَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْلِ الخَنَا والفُحْشِ ، واللَّغْوِ والهُجْرِ، وَكُلِّ بَاطِلٍ » [٢].

(١) « مَدَارِجُ السَّالِكِيْنَ » (٢/ ٢٠١) .
(٢) « مَدَارِجُ السَّالِكِيْنَ » (٢/ ٤٧٣) .

وَقدْ ذكرَ -رحِمَهُ اللّه- فوَائِدُ الرِّضا ، أذْكُرُ مِنْهَا مَا لَهُ عِلاقةٌ في حُصُولِ السَّكِيْنَةِ لِقلْبِ المُؤْمِنِ :

قَالَ –رَحِمَهُ اللهُ– : إِنَّ السُّخْطَ بَابُ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْحُزْنِ ، وَشَتَاتِ الْقَلْبِ، وَكَسْفِ الْبَالِ ، وَسُوءِ الْحَالِ ، وَالظَّنِّ بِالله خِلَافَ مَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَالرِّضَا يُخَلِّصُهُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَيَفْتَحُ لَهُ بَابَ جَنَّةِ الدُّنْيَا قَبْلَ جَنَّةِ الْآخِرَةِ [١].

وَقَالَ–أَيْضًا–:إِنَّ الرِّضَا يُوجِبُ لَهُ الطُّمَأْنِينَةَ،وَبَرْدَ الْقَلْبِ، وَسُكُونَهُ وَقَرَارَهُ، وَالسُّخْطَ يُوجِبُ اضْطِرَابَ قَلْبِهِ، وَرِيْبَتَهُ وَانْزِعَاجَهُ، وَعَدَمَ قَرَارِه[٢].

كَمَا قَالَ : إِنَّ الرِّضَا يُنْزِلُ عَلَيْهِ السَّكِينَةَ الَّتِي لَا أَنْفَعَ لَهُ مِنْهَا ، وَمَتَىٰ نَزَلَتْ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ : اسْتَقَامَ ، وَصَلَحَتْ أَحْوَالُهُ ، وَصَلُحَ بَالُهُ ، وَالسُّخْطُ يُبْعِدُهُ مِنْهَا بِحَسَبِ قِلَّتِهِ وَكَثْرَتِهِ . وَإِذَا تَرَحَّلَتْ عَنْهُ السَّكِينَةُ تَرَحَّلَ عَنْهُ السُّرُورُ وَالْأَمْنُ وَالدَّعَةُ وَالرَّاحَةُ ، وَطِيبُ الْعَيْشِ ، فَمِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ : تَنَزُّلُ السَّكِينَةِ عَلَيْهِ ، وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِهَا : الرِّضَا عَنْهُ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ [٣].

٤- الرِّضَا يُثْمِرُ الشُّكْرَ :

الشُّكْرُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الشُّكْرُ ، هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ مَعْرُوفٍ يُقَابِلُ النِّعْمَةَ ، سَوَاءً أَكَانَ بِاللِّسَانِ أَوْ بِاليَدِ أَوْ بِالقَلْبِ .

---

(١) « مَدَارِجُ السَّالِكِيْنَ » (٢/ ٢٠٠) .
(٢) « مَدَارِجُ السَّالِكِيْنَ » (٢/ ٢٠٠) .
(٣) « مَدَارِجُ السَّالِكِيْنَ » (٢/ ٢٠١) .






كَمَا قِيلَ :

أَفَـادَتْـكُـمُ النَّعْمَاءُ مِنِّي ثَلَاثَةً يَدِي وَلِسَانِي والضَّمِيْـرَ الْمُحَجَّبَا

وَقِيْلَ : هُوَ الثَّنَاءُ عَلَىٰ الْمُحْسِنِ بِذِكْرِ إِحْسَانِهِ ، فَالعَبْدُ يَشْكُرُ اللهَ ، أَيْ يُثْنِيْ عَلَيْهِ بِذِكْرِ إِحْسَانِهِ الَّذِي هُوَ نِعْمَةٌ ، واللهُ يَشْكُرُ العَبْدَ ، أَيْ يُثْنِيْ عَلَيْهِ بِقُبُولِ إِحْسَانِهِ الَّذِي هُوَ طَاعَتُهُ [١].

وَمَنْزِلَةُ الشُّكْرِ فَوْقَ الرِّضَا وَزِيَـادَةٌ، فَالرِّضَا مُنْدَرِجٌ فِي الشُّكْرِ، إِذْ يَسْتَحِيلُ وُجُودُ الشُّكْرِ بِدُونِهِ.

وَهُوَ نِصْفُ الْإِيمَانِ - كَمَا تَقَدَّمَ - وَالْإِيمَانُ نِصْفَانِ: نِصْفٌ شُكْرٌ، وَنِصْفٌ صَبْرٌ.

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ بِهِ ، وَنَهَىٰ عَنْ ضِدِّهِ ، وَأَثْنَىٰ عَلَىٰ أَهْلِهِ، وَوَصَفَ بِهِ خَوَاصَّ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُ غَايَةَ خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ، وَوَعَدَ أَهْلَهُ بِأَحْسَنِ جَزَائِهِ، وَجَعَلَهُ سَبَبًا لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ، وَحَارِسًا وَحَافِظًا لِنِعْمَتِهِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ أَهْلَهُ هُمُ الْمُنْتَفِعُونَ بِآيَاتِهِ، وَاشْتَقَّ لَهُمُ اسْمًا مِنْ أَسْمَائِهِ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الشَّكُورُ وَهُوَ يُوصِلُ الشَّاكِرَ إِلَىٰ مَشْكُورِهِ بَلْ يُعِيْدُ الشَّاكِرَ مَشْكُورًا، وَهُوَ غَايَةُ الرَّبِّ مِنْ عَبْدِهِ، وَأَهْلُهُ هُمُ الْقَلِيلُ مِنْ عِبَادِهِ [٢] .

---

(١) « التَّعْرِيْفَاتُ » (١٢٨) .
(٢) « مَدَارِجُ السَّالِكِيْـنَ » (٢/ ٢٣٢) .



١٢٥

وَأَمَّا كَيْفَ يُثْمِرُ الرِّضَا الشُّكْرَ يُجِيبُكَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- :

أَنَّ الرِّضَا يُثْمِرُ الشُّكْرَ ، الَّذِي هُوَ مِنْ أَعْلَىٰ مَقَامَاتِ الْإِيمَانِ ، بَلْ هُوَ حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ ، وَالسُّخْطُ يُثْمِرُ ضِدَّهُ ، وَهُوَ كُفْرُ النِّعَمِ ، وَرُبَّمَا أَثْمَرَ لَهُ كُفْرَ الْمُنْعِمِ .

فَإِذَا رَضِيَ الْعَبْدُ عَنْ رَبِّهِ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ : أَوْجَبَ لَهُ ذَلِكَ شُكْرَهُ ، فَيَكُونُ مِنَ الرَّاضِينَ الشَّاكِرِينَ ، وَإِذَا فَاتَهُ الرِّضَا : كَانَ مِنَ السَّاخِطِينَ ، وَسَلَكَ سَبِيلَ الْكَافِرِينَ [(١)] .

قَالَ مَحْمُود الوَرَّاقُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- :

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةَ اللهِ نِعْمَةً ... عَلَيَّ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ

فَكَيْفَ وُقُوعُ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ ... وَإِنْ طَالَتْ الأَيَّامُ وَاتَّصَلَ العُمْرُ

إِذَا مَسَّ بِالسَّرَّاءِ عَمَّ سُرُورُهَا ... وَإِنْ مَسَّ بِالضَّرَّاءِ أَعْقَبَهَا الأَجْرُ

وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا لَهُ فِيهِ مِنَّةٌ ... تَضِيقُ بِهَا الأَوْهَامُ وَالبَرُّ وَالبَحْرُ [(٢)]

٥- الرِّضَا يُثْمِرُ القَنَاعَةَ :

الرِّضَا يُثْمِرُ القَنَاعَةَ الَّتِي هِيَ : سُرُورُ الْقَلْبِ بِالْمَقْدُورِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ ، وَطِيبُ النَّفْسِ وَسُكُونُهَا فِي كُلِّ حَالٍ ، وَطُمَأْنِينَةُ الْقَلْبِ عِنْدَ كُلِّ مُفْزِعٍ مُهْلِعٍ

(١) « مَدَارِجُ السَّالِكِينَ » (٢/ ٢٠٢) .
(٢) « عُدَّةُ الصَّابِرِينَ » (١٣٠) .

١٢٦

مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا ، وَبرْدُ الْقَنَاعَةِ ، وَاغْتِبَاطُ الْعَبْدِ بِقَسْمِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَفَرَحُهُ بِقِيَامِ مَوْلاَهُ عَلَيْهِ ، وَاسْتِسْلاَمُهُ لِمَوْلاَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، وَرِضَاهُ مِنْهُ بِمَا يُجْرِيهِ عَلَيْهِ ، وَتَسْلِيمُهُ لَهُ الأَحْكَامَ وَالْقَضَايَا ، وَاعْتِقَادُ حُسْنِ تَدْبِيرِهِ ، وَكَمَالِ حِكْمَتِهِ، وَيُذْهِبُ عَنْهُ شَكْوَىٰ رَبِّهِ إِلَىٰ غَيْرِهِ وَتَبَرُّمَهُ بِأَقْضِيَتِهِ ، وَلِهَذَا سَمَّىٰ بَعْضُ الْعَارِفِينَ الرِّضَا : حُسْنَ الْخُلُقِ مَعَ اللهِ ، فَإِنَّهُ يُوجِبُ تَرْكَ الاعْتِرَاضِ عَلَيْهِ فِي مُلْكِهِ ، وَحَذْفَ فُضُولِ الْكَلَامِ الَّتِي تَقْدَحُ فِي حُسْنِ خُلُقِهِ ، فَلا يَقُولُ: مَا أَحْوَجَ النَّاسَ إِلَىٰ مَطَرٍ ؟ ، وَلَا يَقُولُ : هَذَا يَوْمٌ شَدِيدُ الْحَرِّ ، أَوْ شَدِيدُ الْبَرْدِ ، وَلَا يَقُولُ : الْفَقْرُ بَلاَءٌ ، وَالْعِيَالُ هَمٌّ وَغَمٌّ ، وَلَا يُسَمِّي شَيْئًا قَضَاهُ اللهُ وَقَدَّرَهُ بِاسْمٍ مَذْمُومٍ إِذَا لَمْ يَذُمَّهُ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ، فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ يُنَافِي رِضَاهُ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ -رَحِمَهُ اللهُ -: أَصْبَحْتُ وَمَا لِي سُرُورٌ إِلَّا فِي مَوَاقِعِ الْقَدَرِ .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : الْفَقْرُ وَالْغِنَىٰ مَطِيَّتَانِ مَا أُبَالِي أَيَّهُمَا رَكِبْتُ ، إِنْ كَانَ الْفَقْرَ فَإِنَّ فِيهِ الصَّبْرَ ، وَإِنْ كَانَ الْغِنَىٰ فَإِنَّ فِيهِ الْبَذْلَ [1] .

وَمَا لِي مِنْ عَبْدٍ وَلاَ مِنْ وَلِيْدَةٍ ... وَإِنِّي لَفِي فَضْلٍ مِنَ اللهِ وَاسِعِ
بِنِعْمَةِ رَبِّي مَا أُرِيـدُ مَعِيشَةً ... سِوَىٰ قَصْدِ حَالٍ مِنْ مَعِيشَةِ قَانِعِ

---

(١) « مَدَارِجُ السَّالِكِيـنَ » (٢/ ٢١٢) .

وَمَنْ يَجْعَلِ الرَّحْمَنُ فِي قَلْبِهِ الرِّضَا يَعِشْ فِي غِنًى مِنْ طَيِّبِ العَيْشِ وَاسِعِ

٦- الرِّضَا سَبَبُ الطُّمَأْنِينَة :

الرِّضَا سَبَبُ الطُّمَأْنِيْنَةِ وَالرَّاحَةُ النَّفْسِيَّةِ وَبَرْدِ اليَقِيْنِ ، يُؤَكِّدُ ذَلِكَ قَوْلُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **ذَاقَ طَعْمَ الإِيْمَانِ ؛ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلام دِيْنًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً** »(١) .

وَلاَ شَكَّ أَنَّهُ مَنْ وَجَدَ طَعْمَ الإِيْمَانِ سَكَنَ قَلْبُهُ وَاطْمَأَنَّ واسْتَرَاحَ مِنْ تَعَبِ الاعْتِرَاضِ عَلَىٰ اللهِ فِي قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَلَيْسَ بَعْدَ الرِّضَا مَنْزِلٌ سِوَىٰ الجَنَّةِ .

فَعَنْ أَبِي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « مَنْ قَالَ **رَضِيْتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةَ** »(٢) .

فَهَذَانِ حَدِيْثَانِ عَظِيمَانِ عَلَيْهِمَا مَدَارُ السَّعَادَةِ والطَّمَأْنِيْنَةِ لِتَضَمُّنْهِمَا الرِّضَا بِرُبُوبِيَّةِ اللهِ -سُبْحَانَـهُ وَتَعَالَى- وَأُلُوهِيَّتِهِ ، وَالرِّضَا بِرَسُولِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالانْقِيَادِ لَهُ وَالرِّضَا بِدِيْنِهِ والتَّسْلِيْم لَهُ .

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣٤-٥٦) عَنِ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- .
(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُد (١٥٢٩) وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُد» (١٣٦٨).







٧- الرِّضَا سَبَبُ الأَمْنِ :

مَتَىٰ عَلِمَ العَبْدُ أَنَّ تَدْبِيرَ اللهِ لَهُ خَيْرٌ مِنْ تَدْبِيْرِهِ لِنَفْسِهِ سَكَنَ قَلْبُهُ إِلَىٰ قَدِيْمِ اخْتِيَارِ اللهِ لَهُ ، وَأَنَّهُ اخْتَارَ لَهُ الأَفْضَلَ .

قَالَ ابْنُ عَجِيْبَةَ -رَحِمَهُ اللهُ- :

« إِذَا عَلِمَ العَبْدُ أَنَّ اللهَ كَافٍ جَمِيعَ عِبَادِهِ وَثِقَ بِضَمَانِهِ ، فَاسْتَرَاحَ مِنْ تَعَبِهِ، وَأَزَالَ الهُمُومَ والأَكْدَارَ عَنْ قَلْبِهِ ، فَيَدْخُلُ جَنَّةَ الرِّضَا وَالتَّسْلِيْمِ ، وَيَهُبَّ عَلَيْهِ مِنْ رَوْحِ الوِصَالِ وَرَيْحَانِ الجَمَالِ نَسِيْمٌ ، فَيَكْتَفِي بِاللهِ ، وَيَقْنَعُ بِعِلْمِ اللهِ، وَيَثِقُ بِضَمَانِهِ » [(١)].

وَقَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- :

« لَوْ كَشَفَ اللهُ الغَطَاءَ لِعَبْدِهِ وَأَظْهَرَ لَهُ كَيْفَ يُدَبِّرُ اللهُ لَهُ أُمُورَهُ ، وَكَيْفَ أَنَّ اللهَ أَكْثَرُ حِرْصًا عَلَىٰ مَصْلَحَةِ العَبْدِ مِنَ نَفْسِهِ ، وَأَنَّهُ أَرْحَمُ بِهِ مِنْ أُمِّهِ ، لَذَابَ قَلْبُ العَبْدِ مَحَبَّةً للهِ ، وَلَتَقَطَّعَ قَلْبُهُ شُكْرًا للهِ » .

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ رَضِيًّا عَنِ اللهِ لَكَانَ أَشْقَىٰ النَّاسِ ؛ لِذَلِكَ قَالُوا : أَنْتَ مِنَ خَوْفِ الفَقْرِ فِي فَقْرٍ ، وَمِنْ خَوْفِ المَرَضِ فِي مَرَضٍ ، وَتَوَقُّعُ المُصِيْبَةِ مُصِيْبَةٌ أَكْبَرُ مِنْهَا ، كَمَا قِيْلَ :

وَدَعْ التَّوَقُّعَ لِلحَوَادِثِ إِنَّهَا ... لِلْحَيِّ مِنْ قَبْلِ المَمَاتِ مَمَاتُ

---

(١) « البَحْرُ المَدِيْدُ» (٥/ ٣٢٠) .



بَلْ إِنَّ بَعْضَ الأَزَمَاتِ القَلْبِيَّةِ سَبَبُهَا الخَوْفُ مِنْ أَزْمَةٍ قَلْبِيَّةٍ ﴿ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأَنْعَام:٨١].

لَا شَكَّ أَنَّ أَحَقَّ الفَرِيْقَيْنِ بِالأَمْنِ هُوَ مَنْ سَلَّمَ أَمْرَهُ للهِ ثِقَةً بِحُسْنِ تَدْبِيْرِهِ وَتَوَكُّلاً عَلَيْهِ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأَنْعَام:٨٢].

٨- الرِّضَا عِلَاجٌ لِجَمِيعِ الأَمْرَاضِ النَّفْسِيَّةِ :

الرِّضَا عِلَاجٌ لِلحُزْنِ وَالاكْتِئَابِ وَالضِّيْقِ وَالقَلَقِ وَجَمِيْعِ الأَمْرَاضِ النَّفْسِيَّةِ فَحِيْنَ يُؤْمِنُ العَبْدُ بِقَوْلِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التَّغَابُن:١١]، وَقَوْلِهِ -سُبْحَانَهُ تَعَالَىٰ-: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحَدِيْد:٢٢-٢٣].

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: قَالَ: «**إِنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَإِنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيْبَكَ**»[1].

فَلَوْ إِنَّ الأُمُورَ بِيَدِ اللهِ مَقَادِيْرُهَا، فَلَيْسَ يَأْتِيْهِ مَنْهِيُّهَا وَلَا يُقَصِّرُ عَنْهُ مَأْمُورُهَا، وَإِنَّ الأَرْزَاقَ مَقْسُومَةٌ وَالآجَالَ مَحْتُومَةٌ، وَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّىٰ تَسْتَوْفِي رِزْقَهَا وَأَجَلَهَا، وَيَتَوَكَّلُ عَلَىٰ رَبِّهِ دُونَ تَوَتُّرٍ وَلَا رِيبَةٍ وَلَا قَلَقٍ،

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢١٦٥١) وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ» (٥٢٤٤).



١٣٠

فَمِثْلُ هَذَا يَسْتَقْبِلُ الدُّنْيَا بِشَجَاعَةٍ وَيَقِيْنٍ ، وَلِسَانُ حَالِهِ :

أَيَّ يَوْمِيَّ مِنَ المَوْتِ أَفِرْ ... يَوْمَ لاَ قُدِّرَ أَمْ يَوْمَ قُدِرْ؟؟
يَوْمَ لاَ قُدِّرَ لاَ أَرْهَبُهُ ... وَمِنَ المَقْدُورِ لاَ يَنْجُو الحَذِرْ

٩- الرِّضَا عِلاَجُ الهَمِّ والغَمِّ والحَزَنِ :

أَنَّ الرِّضَا يُزِيْلُ الْهَمَّ وَالْغَمَّ مِنَ الْقَلْبِ.

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللّه- :

« إِنَّ السُّخْطَ بَابُ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْحُزْنِ ، وَشَتَاتِ الْقَلْبِ ، وَكَسْفِ الْبَالِ، وَسُوءِ الْحَالِ ، وَالظَّنِّ باللهِ خِلَافَ مَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَالرِّضَا يُخَلِّصُهُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَيَفْتَحُ لَهُ بَابَ جَنَّةِ الدُّنْيَا قَبْلَ جَنَّةِ الْآخِرَةِ »[١] .

وَمِنْ طَرِيْفِ مَا يُذْكَرُ أَنَّ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ -رَحِمَهُ اللهُ- رَأَىٰ رَجُلاً مَهْمُومًا فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَنْ ثَلاثٍ تُجِيْبُنِي .

قَالَ الرَّجُلُ : نَعَمْ . قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ : أَيَجْرِي فِي هَذَا الكَوْنِ شَيْءٌ لاَ يُرِيْدُهُ اللهُ ؟ . قَالَ : كَلَّا . قَالَ إِبْرَاهِيمُ : أَفَيَنْقُصُ مِنْ رِزْقِك شَيْءٌ قَدَّرَهُ اللهُ لَكَ ؟ .قَالَ : لاَ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ : أَفَيَنْقُصُ مِنْ أَجْلِكَ لَحْظَةٌ كَتَبَهَا اللهُ فِي الحَيَاةِ ؟ . قَالَ : كَلَّا .

(١) « مَدَارِجُ السَّالِكِيْنَ » (٢/ ٢٠٠) .

قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ : فَعَلَامَ الهَمُّ إِذَنْ ؟!! »[١].

كُـنْ عَـنْ هُمُـومِـكَ مُعْرِضًا ... وَكِـلِ الأُمُـورَ إِلَىٰ القَضَا

وَانْـعَـمْ بِـطُـولِ سَـلَامَـةٍ ... تُـسْـلِـيْـكَ عَـمَّا قَـدْ مَـضَى

فَـلَـرُبَّـمَـا اتَّـسَـعَ الْمَضِيْقُ ... وَرُبَّـمَـا ضَـاقَ الـفَـضَـا

وَلَـرُبَّ أَمْـرٍ مُـسْـخِـطٍ ... لَـكَ فِي عَـوَاقِـبِـهِ رِضَـا

اللهُ يَـفْـعَـلُ مَـا يَـشَـاءُ ... فَـلَا تَـكُـنْ مُـتَـعَـرِّضَـا[٢]

١٠ - لِلرضَا ثِمَارٌ يَقْطِفُهَا لَنَا ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللّهُ- :

ذَكَرَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللّهُ- لِلرضَا ثِمَارًا يَانِعَةً أَذْكُرُ مِنْهَا :

١ - أَنَّهُ مُفَوِّضٌ، وَالْمُفَوِّضُ رَاضٍ بِكُلِّ مَا اخْتَارَهُ لَهُ مَنْ فَوَّضَ إِلَيْهِ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا عَلِمَ كَمَالَ حِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَلُطْفِهِ وَحُسْنِ اخْتِيَارِهِ لَهُ.

٢- أَنَّهُ جَازِمٌ بِأَنَّهُ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ، وَلَا رَادَّ لِحُكْمِهِ، وَأَنَّهُ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ كُلًّا مِنَ الْبَلِيَّةِ وَالنِّعْمَةِ بِقَضَاءٍ سَابِقٍ ، وَقَدَرٍ حَتْمٍ.

٣- أَنَّهُ عَبْدٌ مَحْضٌ، وَالْعَبْدُ الْمَحْضُ لَا يَسْخَطُ جَرَيَانَ أَحْكَامِ سَيِّدِهِ الْمُشْفِقِ الْبَارِّ النَّاصِحِ الْمُحْسِنِ، بَلْ يَتَلَقَّاهَا كُلَّهَا بِالرِّضَا بِهِ وَعَنْهُ.

---

(١) « مَجَلَّةُ الجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ » عَدَدُ (٨) .

(٢) هَذِهِ الأَبْيَاتُ وَرَدَتْ فِي كِتَابِ «الفَرَجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ» مَنْسُوبَةً لِلصَّفِيِّ الحِلِّـيِّ .

٤- أَنَّهُ مُحِبٌّ، وَالْمُحِبُّ الصَّادِقُ: مَنْ رَضِيَ بِمَا يُعَامِلُهُ بِهِ حَبِيبُهُ.

٥- أَنَّهُ جَاهِلٌ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ، وَسَيِّدُهُ أَعْلَمُ بِمَصْلَحَتِهِ وَبِمَا يَنْفَعُهُ.

٦- أَنَّهُ لَا يُرِيدُ مَصْلَحَةَ نَفْسِهِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَلَوْ عَرَفَ أَسْبَابَهَا، فَهُوَ جَاهِلٌ ظَالِمٌ، وَرَبُّهُ تَعَالَىٰ يُرِيدُ مَصْلَحَتَهُ، وَيَسُوقُ إِلَيْهِ أَسْبَابَهَا، وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِهَا: مَا يَكْرَهُهُ الْعَبْدُ، فَإِنَّ مَصْلَحَتَهُ فِيمَا يَكْرَهُ أَضْعَافُ أَضْعَافِ مَصْلَحَتِهِ فِيمَا يُحِبُّ، قَالَ اللهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البَقَرَة: ٢١٦]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النِّسَاء: ١٩].

٧- أَنَّهُ مُسْلِمٌ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ قَدْ سَلَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ، وَلَمْ يَعْتَرِضْ عَلَيْهِ فِي جَرَيَانِ أَحْكَامِهِ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَسْخَطْ ذَلِكَ.

٨- أَنَّهُ عَارِفٌ بِرَبِّهِ، حَسَنُ الظَّنِّ بِهِ، لَا يَتَّهِمُهُ فِيمَا يُجْرِيهِ عَلَيْهِ مِنْ أَقْضِيَتِهِ وَأَقْدَارِهِ، فَحُسْنُ ظَنِّهِ بِهِ يُوجِبُ لَهُ اسْتِوَاءَ الْحَالَاتِ عِنْدَهُ، وَرِضَاهُ بِمَا يَخْتَارُهُ لَهُ سَيِّدُهُ سُبْحَانَهُ.

٩- أَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ حَظَّهُ مِنَ الْمَقْدُورِ مَا يَتَلَقَّاهُ بِهِ مِنْ رِضًا وَسَخَطٍ، فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ، فَإِنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَإِنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ.

١٠- عِلْمُهُ بِأَنَّهُ إِذَا رَضِيَ انْقَلَبَ فِي حَقِّهِ نِعْمَةً وَمِنْحَةً، وَخَفَّ عَلَيْهِ حَمْلُهُ،

وَأُعِينَ عَلَيْهِ، وَإِذَا سَخِطَهُ تَضَاعَفَ عَلَيْهِ ثِقْلُهُ وَكَلُّهُ، وَلَمْ يَزْدَدْ إِلَّا شِدَّةً، فَلَوْ أَنَّ السُّخْطَ يُجْدِي عَلَيْهِ شَيْئًا لَكَانَ لَهُ فِيهِ رَاحَةٌ أَنْفَعُ لَهُ مِنَ الرِّضَا بِهِ.

وَنُكْتَةُ الْمَسْأَلَةِ: إِيمَانُهُ بِأَنَّ قَضَاءَ الرَّبِّ تَعَالَىٰ خَيْرٌ لَهُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَقْضِي اللهُ لِلْمُؤْمِنِ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ**»[1].

١١- أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ تَمَامَ عُبُودِيَّتِهِ فِي جَرَيَانِ مَا يَكْرَهُهُ مِنَ الْأَحْكَامِ عَلَيْهِ، وَلَوْ لَمْ يَجْرِ عَلَيْهِ مِنْهَا إِلَّا مَا يُحِبُّ لَكَانَ أَبْعَدَ شَيْءٍ عَنْ عُبُودِيَّةِ رَبِّهِ.

١٢- أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ رِضَاهُ عَنْ رَبِّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ يُثْمِرُ رِضَا رَبِّهِ عَنْهُ، فَإِذَا رَضِيَ عَنْهُ بِالْقَلِيلِ مِنَ الرِّزْقِ: رَضِيَ رَبُّهُ عَنْهُ بِالْقَلِيلِ مِنَ الْعَمَلِ.

١٣- أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ أَعْظَمَ رَاحَتِهِ، وَسُرُورَهُ وَنَعِيمَهُ: فِي الرِّضَا عَنْ رَبِّهِ تَعَالَىٰ، وَتَقَدَّسَ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ، فَإِنَّ الرِّضَا بَابُ اللهِ الْأَعْظَمُ، وَمُسْتَرَاحُ الْعَارِفِينَ، وَجَنَّةُ الدُّنْيَا.

١٤- أَنَّ الرِّضَا يَفْتَحُ لَهُ بَابَ السَّلَامَةِ، فَيَجْعَلُ قَلْبَهُ سَلِيمًا نَقِيًّا مِنَ الْغِشِّ وَالدَّغَلِ وَالْغِلِّ.

١٥- أَنَّ السُّخْطَ يُوجِبُ تَلَوُّنَ الْعَبْدِ، وَعَدَمَ ثَبَاتِهِ مَعَ اللهِ، فَإِنَّهُ لَا يَرْضَىٰ

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٩٩)، عَنْ صُهَيْبِ بْنِ سِنَانٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

إِلَّا بِمَا يُلَائِمُ طَبْعَهُ وَنَفْسَهُ.

١٦ –أَنَّ السُّخْطَ يَفْتَحُ عَلَيْهِ بَابَ الشَّكِّ فِي اللهِ ، وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ .

١٧ – أَنَّ الرِّضَا يُوجِبُ لَهُ أَنْ لَا يَأْسَىٰ عَلَىٰ مَا فَاتَهُ ، وَلَا يَفْرَحَ بِمَا آتَاهُ، وَذَلِكَ مِنْ أَفْضَلِ الْإِيمَانِ.

١٨ –أَنَّ مَنْ مَلَأَ قَلْبَهُ مِنَ الرِّضَا بِالْقَدَرِ : مَلَأَ اللهُ صَدْرَهُ غِنًىٰ وَأَمْنًا وَقَنَاعَةً .

١٩ – أَنَّ الرِّضَا يَنْفِي عَنْهُ آفَاتِ الْحِرْصِ وَالْكَلَبِ عَلَىٰ الدُّنْيَا ، وَذَلِكَ رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَأَصْلُ كُلِّ بَلِيَّةٍ .

٢٠ – أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يَظْفَرُ بِالْإِنْسَانِ غَالِبًا عِنْدَ السُّخْطِ وَالشَّهْوَةِ، فَهُنَاكَ يَصْطَادُهُ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا اسْتَحْكَمَ سُخْطُهُ، فَإِنَّهُ يَقُولُ مَا لَا يُرْضِي الرَّبَّ، وَيَفْعَلُ مَا لَا يُرْضِيهِ، وَيَنْوِي مَا لَا يُرْضِيهِ، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –عِنْدَ مَوْتِ ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ : « **يَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَتَدْمَعُ الْعَيْنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي الرَّبَّ** » [١] .

فَإِنَّ مَوْتَ الْبَنِينَ مِنَ الْعَوَارِضِ الَّتِي تُوجِبُ لِلْعَبْدِ السُّخْطَ عَلَىٰ الْقَدَرِ.

فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : أَنَّهُ لَا يَقُولُ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ – الَّذِي يَسْخَطُهُ أَكْثَرُ النَّاسِ، فَيَتَكَلَّمُونَ بِمَا لَا يُرْضِي اللهَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٢٤١) ، ومُسْلِمٌ (٢٣١٥) .



يُرْضِيهِ - إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

٢١- أَنَّ الرِّضَا هُوَ اخْتِيَارُ مَا اخْتَارَهُ اللهُ لِعَبْدِه، وَالسُّخْطَ كَرَاهَةُ مَا اخْتَارَهُ اللهُ لَهُ ، وَهَذَا نَوْعُ مُحَادَّةٍ، فَلَا يُتَخَلَّصُ مِنْهُ إِلَّا بِالرِّضَا عَنِ اللهِ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ.

٢٢- أَنَّ الرِّضَا يُخْرِجُ الْهَوَىٰ مِنَ الْقَلْبِ، فَالرَّاضِي هَوَاهُ تَبَعٌ لِمُرَادِ رَبِّهِ مِنْهُ، أَعْنِي الْمُرَادَ الَّذِي يُحِبُّهُ رَبُّهُ وَيَرْضَاهُ .

٢٣- أَنَّ الرِّضَا عَنِ اللهِ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ يُثْمِرُ لِلْعَبْدِ رِضَا اللهِ عَنْهُ - كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي الرِّضَا بِهِ - فَإِنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

أَنَّ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ أَشَقُّ شَيْءٍ عَلَىٰ النَّفْسِ، بَلْ هُوَ ذَبْحُهَا فِي الْحَقِيقَةِ، فَإِنَّهُ مُخَالَفَةُ هَوَاهَا وَطَبْعِهَا وَإِرَادَتِهَا، وَلَا تَصِيرُ مُطَمَئِنَّةً قَطُّ حَتَّىٰ تَرْضَىٰ بِالْقَضَاءِ، فَحِينَئِذٍ تَسْتَحِقُّ أَنْ يُقَالَ لَهَا : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفَجْرُ : ٢٧- ٣٠] .

٢٤- أَنَّ الرَّاضِيَ مُتَلَقٍّ أَوَامِرَ رَبِّهِ - الدِّينِيَّةَ وَالْقَدَرِيَّةَ - بِالانْشِرَاحِ وَالتَّسْلِيمِ ، وَطِيبِ النَّفْسِ ، وَالِاسْتِسْلَامِ، وَالسَّاخِطُ يَتَلَقَّاهَا بِضِدِّ ذَلِكَ إِلَّا مَا وَافَقَ طَبْعَهُ، وَإِرَادَتَهُ مِنْهَا.

٢٥- أَنَّ الْمُخَالَفَاتِ كُلَّهَا أَصْلُهَا مِنْ عَدَمِ الرِّضَا، وَالطَّاعَاتِ كُلَّهَا أَصْلُهَا مِنَ الرِّضَا، وَهَذَا إِنَّمَا يَعْرِفُهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ مَنْ عَرَفَ صِفَاتِ نَفْسِهِ ،

وَمَا يَتَوَلَّدُ عَنْهَا مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي.

٢٦- أَنَّ عَدَمَ الرِّضَا يَفْتَحُ بَابَ الْبِدْعَةِ ، وَالرِّضَا يُغْلِقُ عَنْهُ ذَلِكَ الْبَابَ، وَلَوْ تَأَمَّلْتَ بِدَعَ الرَّوَافِضِ ، وَالنَّوَاصِبِ ، وَالْخَوَارِجِ، لَرَأَيْتَهَا نَاشِئَةً مِنْ عَدَمِ الرِّضَا بِالْحُكْمِ الْكَوْنِيِّ ، أَوِ الدِّينِيِّ ، أَوْ كِلَيْهِمَا.

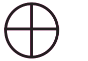
٢٧- أَنَّ الرِّضَا مَعْقِدُ نِظَامِ الدِّينِ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، فَإِنَّ الْقَضَايَا لَا تَخْلُو مِنْ خَمْسَةِ أَنْوَاعٍ :

فَتَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : دِينِيَّةٍ ، وَكَوْنِيَّةٍ، وَهِيَ مَأْمُورَاتٌ ، وَمَنْهِيَّاتٌ ، وَمُبَاحَاتٌ، وَنِعَمٌ مُلَذَّةٌ ، وَبَلَايَا مُؤْلِمَةٌ.

فَإِذَا اسْتَعْمَلَ الْعَبْدُ الرِّضَا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ فَقَدْ أَخَذَ بِالْحَظِّ الْوَافِرِ مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَفَازَ بِالْقِدْحِ الْمُعَلَّىٰ .

٢٨- أَنَّ الرِّضَا يُخَلِّصُ الْعَبْدَ مِنْ مُخَاصَمَةِ الرَّبِّ تَعَالَىٰ فِي أَحْكَامِهِ وَأَقْضِيَتِهِ، فَإِنَّ السُّخْطَ عَلَيْهِ مُخَاصَمَةٌ لَهُ فِيمَا لَمْ يَرْضَ بِهِ الْعَبْدُ، وَأَصْلُ مُخَاصَمَةِ إِبْلِيسَ لِرَبِّهِ : مِنْ عَدَمِ رِضَاهُ بِأَقْضِيَتِهِ وَأَحْكَامِهِ الدِّينِيَّةِ وَالْكَوْنِيَّةِ، فَلَوْ رَضِيَ لَمْ يُمْسَخْ مِنَ الْحَقِيقَةِ الْمَلَكِيَّةِ إِلَىٰ الْحَقِيقَةِ الشَّيْطَانِيَّةِ الْإِبْلِيسِيَّةِ .

٢٩- أَنَّ جَمِيعَ مَا فِي الْكَوْنِ أَوْجَبَتْهُ مَشِيئَةُ اللهِ ، وَحِكْمَتُهُ ، وَمُلْكُهُ، فَهُوَ مُوجِبُ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، فَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِمَا رَضِيَ بِهِ رَبُّهُ ، لَمْ يَرْضَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، فَلَمْ يَرْضَ بِهِ رَبًّا .



٣٠- أَنَّ كُلَّ قَدَرٍ يَكْرَهُهُ الْعَبْدُ وَلا يُلائِمُهُ، لَا يَخْلو : إِمَّا أَنْ يَكُونَ عُقُوبَةً عَلَىٰ الذَّنْبِ، فَهُوَ دَوَاءٌ لِمَرَضٍ، لَوْلَا تَدَارُكُ الْحَكِيمِ إِيَّاهُ بِالدَّوَاءِ لَتَرَامَىٰ بِهِ الْمَرَضُ إِلَىٰ الْهَلَاكِ، أَوْ يَكُونَ سَبَبًا لِنِعْمَةٍ لا تُنَالُ إِلَّا بِذَلِكَ الْمَكْرُوهِ، فَالْمَكْرُوهُ يَنْقَطِعُ وَيَتَلاشَى، وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ النِّعْمَةِ دَائِمٌ لَا يَنْقَطِعُ، فَإِذَا شَهِدَ الْعَبْدُ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ انْفَتَحَ لَهُ بَابُ الرِّضَا عَنْ رَبِّهِ فِي كُلِّ مَا يَقْتَضِيهِ لَهُ وَيُقَدِّرُهُ.

٣١- أَنَّ حُكْمَ الرَّبِّ تَعَالَىٰ مَاضٍ فِي عَبْدِهِ ، وَقَضَاؤُهُ عَدْلٌ فِيهِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ : « **مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ** »[1].

وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِالْعَدْلِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ.

وَقَوْلُهُ : « **عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ** » ، يَعُمُّ قَضَاءَ الذَّنْبِ ، وَقَضَاءَ أَثَرِهِ وَعُقُوبَتَهُ، فَإِنَّ الْأَمْرَيْنِ مِنْ قَضَائِهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَعْدَلُ الْعَادِلِينَ فِي قَضَائِهِ بِالذَّنْبِ ، وَفِي قَضَائِهِ بِعُقُوبَتِهِ .

أَمَّا عَدْلُهُ فِي الْعُقُوبَةِ : فَظَاهِرٌ، وَأَمَّا عَدْلُهُ فِي قَضَائِهِ بِالذَّنْبِ : فَلأَنَّ الذَّنْبَ عُقُوبَةٌ عَلَىٰ غَفْلَتِهِ عَنْ رَبِّهِ، وَإِعْرَاضِ قَلْبِهِ عَنْهُ، فَإِنَّهُ إِذَا غَفَلَ قَلْبُهُ عَنْ رَبِّهِ وَوَلِيِّهِ ، وَنَقَصَ إِخْلَاصُهُ : اسْتَحَقَّ أَنْ يُضْرَبَ بِهَذِهِ الْعُقُوبَةِ، لِأَنَّ قُلُوبَ الْغَافِلِينَ مَعْدِنُ الذُّنُوبِ، وَالْعُقُوبَاتُ وَارِدَةٌ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَإِلَّا فَمَعَ

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٤٣١٨) ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي (صَحِيحِ الجَامِعِ) (١٩٩) .

كَمالِ الإِخْلاصِ وَالذِّكْرِ وَالإِقْبالِ عَلَى اللهِ سُبْحانَهُ وَتَعالَىٰ وَذِكْرِهِ، يَسْتَحِيلُ صُدُورُ الذَّنْبِ، كَمَا قَالَ تَعالَىٰ: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يُوسُف: ٢٤].

فَإِنْ قُلْتَ: قَضاؤُهُ عَلَىٰ عَبْدِهِ بِإِعْراضِهِ عَنْهُ، وَنِسْيانِهِ إِيَّاهُ، وَعَدَمِ إِخْلاصِهِ: عُقُوبَةٌ عَلَىٰ ماذا؟.

قُلْتُ: هَذا طَبْعُ النَّفْسِ وَشَأْنُها، فَهُوَ سُبْحانَهُ إِذا لَمْ يُرِدِ الْخَيْرَ بِعَبْدِهِ خَلَّىٰ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَطَبْعِهِ وَهَواهُ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي أَثَرَها مِنَ الْغَفْلَةِ وَالنِّسْيانِ، وَعَدَمِ الإِخْلاصِ وَاتِّباعِ الْهَوَى، وَهَذِهِ الأَسْبابُ تَقْتَضِي آثارَها مِنَ الْآلامِ، وَفَواتِ الْخَيْراتِ وَاللَّذَّاتِ، كَاقْتِضاءِ سائِرِ الأَسْبابِ لِمُسَبَّباتِها وَآثارِها.

فَإِنْ قُلْتَ: فَهَلَّا خَلَقَهُ عَلَىٰ غَيْرِ تِلْكَ الصِّفَةِ؟.

قُلْتُ: هَذا سُؤالٌ فاسِدٌ، وَمَضْمُونُهُ: هَلَّا خَلَقَهُ مَلَكًا لا إِنْسانًا.

فَإِنْ قُلْتَ: فَهَلَّا أَعْطاهُ التَّوْفِيقَ الَّذِي يَتَخَلَّصُ بِهِ مِنْ شَرِّ نَفْسِهِ، وَظُلْمَةِ طَبْعِهِ؟.

قُلْتُ: مَضْمُونُ هَذا السُّؤالِ: هَلَّا سَوَّىٰ بَيْنَ جَمِيعِ خَلْقِهِ؟، وَلِمَ خَلَقَ الْمُتَضادَّاتِ وَالْمُخْتَلِفاتِ؟، وَهَذا مِنْ أَفْسَدِ الأَسْئِلَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيانُ اقْتِضاءِ حِكْمَتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ وَمُلْكِهِ لِخَلْقِ ذَلِكَ.

٣٢- أَنَّ عَدَمَ الرِّضا إِمَّا أَنْ يَكُونَ لِفَواتِ ما أَخْطَأَهُ مِمَّا يُحِبُّهُ وَيُرِيدُهُ، وَإِمَّا

لِإصَابَةِ مَا يَكْرَهُهُ وَيَسْخَطُهُ، فَإِذَا تَيَقَّنَ أَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ : فَلَا فَائِدَةَ فِي سَخَطِهِ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا فَوَاتَ مَا يَنْفَعُهُ وَحُصُولَ مَا يَضُرُّهُ .

٣٣- أَنَّ الرِّضَا مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ ، نَظِيرُ الْجِهَادِ مِنْ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ، فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ذُرْوَةُ سَنَامِ الْإِيمَانِ .

٣٤- أَنَّ أَوَّلَ مَعْصِيَةٍ عُصِيَ اللهُ بِهَا فِي هَذَا الْعَالَمِ : إِنَّمَا نَشَأَتْ مِنْ عَدَمِ الرِّضَا، فَإِبْلِيسُ لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ اللهِ الَّذِي حَكَمَ بِهِ كَوْنًا ، مِنْ تَفْضِيلِ آدَمَ وَتَكْرِيمِهِ ، وَلَا بِحُكْمِهِ الدِّينِيِّ ، مِنْ أَمْرِهِ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ ، وَآدَمُ لَمْ يَرْضَ بِمَا أُبِيحَ لَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، حَتَّىٰ ضَمَّ إِلَيْهِ الْأَكْلَ مِنْ شَجَرَةِ الْحُمَّى، ثُمَّ تَرَتَّبَتْ مَعَاصِي الذُّرِّيَّةِ عَلَىٰ عَدَمِ الصَّبْرِ وَعَدَمِ الرِّضَا .

٣٥- أَنَّ الرَّاضِيَ وَاقِفٌ مَعَ اخْتِيَارِ اللهِ لَهُ، مُعْرِضٌ عَنِ اخْتِيَارِهِ لِنَفْسِهِ، وَهَذَا مِنْ قُوَّةِ مَعْرِفَتِهِ بِرَبِّهِ تَعَالَىٰ ، وَمَعْرِفَتِهِ بِنَفْسِهِ .

٣٦- أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَنْعَ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ الْمُحِبِّ عَطَاءٌ، وَابْتِلَاءَهُ إِيَّاهُ عَافِيَةٌ، قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : مَنْعُهُ عَطَاءٌ، وَذَلِكَ : أَنَّهُ لَمْ يَمْنَعْ عَنْ بُخْلٍ وَلَا عَدَمٍ، وَإِنَّمَا نَظَرَ فِي خَيْرِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ فَمَنَعَهُ اخْتِيَارًا وَحُسْنَ نَظَرٍ .

٣٧- أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَالْآخِرُ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَالْمُظْهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَالْمَالِكُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَهُوَ الَّذِي يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ



وَيَخْتَارُ، وَلَيْسَ لِلْعَبْدِ أَنْ يَخْتَارَ عَلَيْهِ ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مَعَهُ اخْتِيَارٌ، وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا .

٣٨- أَنَّ رِضَا اللهِ عَنِ الْعَبْدِ أَكْبَرُ مِنَ الْجَنَّةِ وَمَا فِيهَا، لِأَنَّ الرِّضَا صِفَةُ اللهِ وَالْجَنَّةَ خَلْقُهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [التَّوْبَة :٧٢]، بَعْدَ قَوْلِهِ : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التَّوْبَةُ : ٧٢] ، وَهَذَا الرِّضَا جَزَاءٌ عَلَىٰ رِضَاهُمْ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا ، وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْجَزَاءُ أَفْضَلَ الْجَزَاءِ ، كَانَ سَبَبُهُ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ .

٣٩- أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا رَضِيَ بِهِ وَعَنْهُ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ : لَمْ يَتَخَيَّرْ عَلَيْهِ الْمَسَائِلَ، وَأَغْنَاهُ رِضَاهُ بِمَا يَقْسِمُهُ لَهُ وَيُقَدِّرُهُ وَيَفْعَلُهُ بِهِ عَنْ ذَلِكَ، وَجَعَلَ ذِكْرَهُ فِي مَحَلِّ سُؤَالِهِ، بَلْ يَكُونُ مِنْ سُؤَالِهِ لَهُ الْإِعَانَةُ عَلَىٰ ذِكْرِهِ ، وَبُلُوغُ رِضَاهُ .

أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَنْدُبُ إِلَىٰ أَعْلَىٰ الْمَقَامَاتِ، فَإِنْ عَجَزَ الْعَبْدُ عَنْهُ : حَطَّ إِلَىٰ الْمَقَامِ الْوَسَطِ ، كَمَا قَالَ : « **اعْبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ** » ، فَهَذَا مَقَامُ الْمُرَاقَبَةِ الْجَامِعُ لِمَقَامَاتِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ ، ثُمَّ قَالَ : « **فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ** » (١) .

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الحِلْيَةِ» (٨/ ٢٠٢) ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي (صَحِيحِ الجَامِعِ) (١٠٣٧) .

فَحَطَّهُ عِنْدَ الْعَجْزِ عَنِ الْمَقَامِ الأَوَّلِ إِلَى الْمَقَامِ الثَّانِي ، وَهُوَ الْعِلْمُ بِاطِّلَاعِ اللهِ عَلَيْهِ وَرُؤْيَتِهِ لَهُ ، وَمُشَاهَدَتِهِ لِعَبْدِهِ فِي الْمَلأَ وَالْخَلَاءِ .

٤٠ – أَنَّ الرِّضَا آخِذٌ بِزِمَامِ مَقَامَاتِ الدِّينِ كُلِّهَا، وَهُوَ رُوحُهَا وَحَيَاتُهَا .

٤١ – أَنَّ الرِّضَا يَقُومُ مَقَامَ كَثِيرٍ مِنَ التَّعَبُّدَاتِ الَّتِي تَشُقُّ عَلَىٰ الْبَدَنِ، فَيَكُونُ رِضَاهُ أَسْهَلَ عَلَيْهِ ، وَأَلَذَّ لَهُ ، وَأَرْفَعَ فِي دَرَجَتِهِ .

٤٢ – أَنَّ الرِّضَا يَفْتَحُ بَابَ حُسْنِ الْخُلُقِ مَعَ اللهِ تَعَالَىٰ وَمَعَ النَّاسِ؛ فَإِنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ مِنَ الرِّضَا وَسُوءَ الْخُلُقِ مِنَ السَّخَطِ .

٤٣ – أَنَّ أَفْضَلَ الأَحْوَالِ : الرَّغْبَةُ فِي اللهِ وَلَوَازِمُهَا، وَذَلِكَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْيَقِينِ ، وَالرِّضَا عَنِ اللهِ، وَلِهَذَا قَالَ سَهْلٌ : حَظُّ الْخَلْقِ مِنَ الْيَقِينِ عَلَىٰ قَدْرِ حَظِّهِمْ مِنَ الرِّضَا، وَحَظُّهُمْ مِنَ الرِّضَا عَلَىٰ قَدْرِ رَغْبَتِهِمْ فِي اللهِ.

٤٤ – أَنَّ الرِّضَا يُخَلِّصُهُ مِنْ عَيْبِ مَا لَمْ يُعِبْهُ اللهُ، وَمِنْ ذَمِّ مَا لَمْ يَذُمَّهُ اللهُ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَمْ يَرْضَ بِالشَّيْءِ عَابَهُ بِأَنْوَاعِ الْمَعَايِبِ، وَذَمَّهُ بِأَنْوَاعِ الْمَذَامِّ، وَذَلِكَ مِنْهُ قِلَّةُ حَيَاءٍ مِنَ اللهِ، وَذَمٌّ لِمَا لَيْسَ لَهُ ذَنْبٌ ، وَعَيْبٌ لِخَلْقِهِ، وَذَلِكَ يُسْقِطُ الْعَبْدَ مِنْ عَيْنِ رَبِّهِ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا صَنَعَ لَكَ طَعَامًا وَقَدَّمَهُ إِلَيْكَ فَعِبْتَهُ وَذَمَمْتَهُ، لَكُنْتَ مُتَعَرِّضًا لِمَقْتِهِ وَإِهَانَتِهِ ، وَمُسْتَدْعِيًا مِنْهُ : أَنْ يَقْطَعَ ذَلِكَ عَنْكَ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ : إِنَّ ذَمَّ الْمَصْنُوعِ وَعَيْبَهُ – إِذَا لَمْ يَذُمَّهُ صَانِعُهُ – غِيبَةٌ لَهُ وَقَدْحٌ فِيهِ .

١٤٢

٤٥- أَنَّ الرِّضَا بِالْقَدَرِ يُخَلِّصُ الْعَبْدَ مِنْ أَنْ يُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ، وَأَنْ يَذُمَّهُمْ عَلَىٰ مَا لَمْ يُؤْتِهِ اللَّهُ، وَأَنْ يَحْمَدَهُمْ عَلَىٰ مَا هُوَ عَيْنُ فَضْلِ اللَّهِ، فَيَكُونُ ظَالِمًا لَهُمْ فِي الْأَوَّلِ - وَهُوَ رِضَاهُمْ وَذَمُّهُمْ - مُشْرِكًا بِهِمْ فِي الثَّانِي - وَهُوَ حَمْدُهُمْ - فَإِذَا رَضِيَ بِالْقَضَاءِ تَخَلَّصَ مِنْ ذَمِّهِمْ وَحَمْدِهِمْ، فَخَلَّصَهُ الرِّضَا مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ .

٤٦- أَنَّ الرِّضَا يُفَرِّغُ قَلْبَ الْعَبْدِ، وَيُقَلِّلُ هَمَّهُ وَغَمَّهُ، فَيَتَفَرَّغُ لِعِبَادَةِ رَبِّهِ بِقَلْبٍ خَفِيفٍ مِنْ أَثْقَالِ الدُّنْيَا وَهُمُومِهَا وَغُمُومِهَا .

٤٧- أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَرْضَ بِالْقَدَرِ وَقَعَ فِي لَوْمِ الْمَقَادِيرِ، إِمَّا بِقَالَبِهِ ، وَإِمَّا بِقَلْبِهِ وَحَالِهِ، وَلَوْمُ الْمَقَادِيرِ لَوْمٌ لِمُقَدِّرِهَا ، وَكَذَلِكَ يَقَعُ فِي لَوْمِ الْخَلْقِ، وَاللَّهُ وَالنَّاسُ يَلُومُونَهُ ، فَلَا يَزَالُ لَائِمًا مَلُومًا، وَهَذَا مُنَافٍ لِلْعُبُودِيَّةِ .

قَالَ أَنَسٌ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- : « **خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَهُ؟ وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ: أَلَا فَعَلْتَهُ ؟ وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ كَانَ : لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ، وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ : لَيْتَهُ كَانَ، وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِهِ إِذَا لَامَنِي يَقُولُ : دَعُوهُ، فَلَوْ قُضِيَ شَيْءٌ لَكَانَ** » [١] .

وَقَوْلُهُ : « **فَلَوْ قُضِيَ شَيْءٌ لَكَانَ** » ، يَتَنَاوَلُ أَمْرَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : مَا لَمْ يُوجَدْ مِنْ مُرَادِ الْعَبْدِ، وَالثَّانِي : مَا وُجِدَ مِمَّا يَكْرَهُهُ، وَهُوَ يَتَنَاوَلُ فَوَاتَ الْمَحْبُوبِ ، وَحُصُولَ الْمَكْرُوهِ ، فَلَوْ قُضِيَ الْأَوَّلُ لَكَانَ،

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٢٠٣) ، وَمُسْلِمٌ (٢٣١٠) .



وَلَوْ قُضِيَ خِلَافُ الْآخَرِ لَكَانَ، فَإِذَا اسْتَوَتِ الْحَالَتَانِ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ الْقَضَاءِ، فَعُبُودِيَّةُ الْعَبْدِ : أَنْ يَسْتَوِيَ عِنْدَهُ الْحَالَتَانِ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ رِضَاهُ، وَهَذَا مُوجَبُ الْعُبُودِيَّةِ وَمُقْتَضَاهَا .

٤٨- أَنَّ أَعْمَالَ الْجَوَارِحِ تُضَاعَفُ إِلَىٰ حَدٍّ مَعْلُومٍ مَحْسُوبٍ، وَأَمَّا أَعْمَالُ الْقَلْبِ : فَلَا يَنْتَهِي تَضْعِيفُهَا، وَذَلِكَ لِأَنَّ أَعْمَالَ الْجَوَارِحِ : لَهَا حَدٌّ تَنْتَهِي إِلَيْهِ، وَتَقِفُ عِنْدَهُ، فَيَكُونُ جَزَاؤُهَا بِحَسَبِ حَدِّهَا، وَأَمَّا أَعْمَالُ الْقُلُوبِ : فَهِيَ دَائِمَةٌ مُتَّصِلَةٌ، وَإِنْ تَوَارَىٰ شُهُودُ الْعَبْدِ لَهَا [1] .



(١) « مَدَارِجُ السَّالِكِيْنَ » (٢/ ١٩٩-٢١٦) بِتَصَرُّفٍ واخْتِصَار .

١٤٤




الفَصْلُ الثَّاني

رِضَا رَسُولِ اللهِ ـصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَـ

كَانَ رِضَا رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ رَبِّهِ فَوْقَ مَا يَصِفُهُ الوَاصِفُونَ، فَهُوَ رَاضٍ فِي الغِنَىٰ والفَقْرِ ، رَاضٍ فِي السِّلْمِ والحَرْبِ ، رَاضٍ وَقْتَ القُوَّةِ والضَّعْفِ ، رَاضٍ وَقْتَ الصِّحَّةِ والسَّقَمِ ، رَاضٍ فِي الشِّدَّةِ والرَّخَاءِ .

عَاشَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَرَارَةَ اليُتْمِ ، وَأَسَىٰ اليُتْمِ ، وَلَوْعَةَ اليُتْمِ فَكَانَ رَاضِيًا ، وكَانَ يَرْبطُ الحَجَرَ عَلَىٰ بَطْنِهِ مِنْ شِدَّةِ الجُوْعِ ، وَيَنَامُ عَلَىٰ الحَصِيْرِ فَيُؤَثِّرُ فِي جَنْبِهِ ، وَتَمُرُّ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ لَا يَجِدُ شَيْئًا يَأْكُلُهُ ، وَمَعَ ذَلكَ كَانَ رَاضِيًا عَنِ اللهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَرَضِيَ عَنْ رَبِّهِ يَوْمَ وَقَفَتْ الدُّنْيَا – كُلُّ الدُّنْيَا- تُحَارِبُهُ بِخَيْلِهَا وَرَجِلِهَا ، بِغِنَاهَا وَبِزُخْرُفِهَا ، بِزَهْوِهَا وَبِخُيَلائِهَا، فَكَانَ رَاضِيًا عَنِ اللهِ ، يَوْمَ مَاتَ عَمُّهُ وَزَوْجَتُهُ خَدِيْجَةُ ، وَأُوْذِيَ أَشَدَّ الأَذَى، وَكُذِّبَ أَشَدَّ التَّكْذِيْبِ ، وَخُدِشَتْ كَرَامَتُهُ ، وَرُمِيَ فِي صِدْقِهِ ، فَقِيْلَ لَهُ : كَذَّابٌ وَسَاحِرٌ ، وَكَاهِنٌ وَمَجْنُونٌ وَشَاعِرٌ .

وَرَضِيَ عَنِ اللهِ وَهُوَ يَذْهَبُ إِلَىٰ الطَّائِفِ لِيَعْرِضَ دَعْوَتَهُ فَيُوَاجَهُ بِأَقْبَحِ رَدٍّ وَبِأَسْوَإِ اسْتِقْبَالٍ وَيُرْمَىٰ بِالحِجَارَةِ حَتَّىٰ تَسِيْلَ قَدَمَاهُ فَيَرْضَىٰ عَنْ مَوْلَاهُ.



وَرَضِيَ يَوْمَ طُرِدَ مِنْ بَلَدِهِ وَمَسْقَطِ رَأْسِهِ الَّتِي فِيْهَا مَرَاحِلُ صِبَاهُ وَمَلاعِبُ طُفُولَتِهِ وَأَفَانِيْنُ شَبَابِهِ ، فَيَلْتَفِتُ إِلَىٰ مَكَّةَ وَتَسِيْلُ دُمُوعُهُ وَيَقُولُ : « **إِنَّكِ أَحَبُّ بِلَادِ اللهِ إِلَيَّ وَلَوْلَا أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ** »[١]، وَيَرْضَىٰ عَنِ اللهِ وَهُوَ يَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ مُرْغَمًا فَيَسِيْرُ إِلَىٰ المَدِيْنَةِ وَيُطَارَدُ بِالخَيْلِ وَتُوْضَعُ العَرَاقِيْلُ فِي طَرِيْقِهِ أَيْنَمَا ذَهَبَ ، وَيَرْضَىٰ عَنِ رَبِّهِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ وَفِي كُلِّ زَمَانٍ .

يَحْضُرُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- غَزْوَةَ أُحُدٍ فَيُشَجُّ رَأْسُهُ ، وَتُكْسَرُ ثَنِيَّتُهُ وَيُقْتَلُ عَمُّهُ وَيُمَثَّلُ بِأَصْحَابِهِ وَيُغْلَبُ جَيْشُهُ ، وَيَرْضَىٰ عَنِ رَبِّهِ وَقَدْ ظَهَرَ حِلْفٌ كَافِرٌ ضِدَّهُ مِنَ المُنَافِقِيْنَ واليَهُودِ والمُشْرِكِيْنَ فَيَقِفُ صَامِدًا مُتَوَكِّلاً عَلَىٰ اللهِ مُفَوِّضًا الأَمْرُ إِلَيْهِ .

وَجَزَاءُ هَذَا الرِّضَا مِنْهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَوْلُ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ ﴾ [الضُّحَىٰ : ٥] .

وَقَدْ عَقَدَ ابْنُ الجَوْزِيِّ -رَحِمَهُ اللهُ- : فَصْلاً مَاتِعًا فِي (صَيْدِهِ) سَمَّاهُ رِضَا الرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ رَبِّهِ .

فَقَالَ تَحْتَهُ وَمَا أَحْسَنَ مَا يَقُولُ :

مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ حَقِيْقَةَ الرِّضَا عَنِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- فِي أَفْعَالِهِ ، وَأَنْ

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرمِذْيُّ (٣٩٢٦)،وَصَحَّحَهُ الألْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ- فِي:«صَحِيْحِ الجَامِعِ» (٥٥٣٦) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- .

١٤٦

يَدْرِي مِنْ أَيْنَ يَنْشَأُ الرِّضَا ، فَلْيَتَفَكَّرْ فِي أَحْوَالِ رَسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَإِنَّهُ لَمَّا تَكَامَلَتْ مَعْرِفَتُهُ بِالخَالِقِ سُبْحَانَهُ ، رَأَىٰ أَنَّ الخَالِقَ مَالِكٌ، وَلِلمَالِكِ التَّصَرُّفُ فِي مَمْلُوكِهِ ، وَرَآهُ حَكِيمًا لَا يَصْنَعُ شَيْئًا عَبَثًا ، فَسَلَّمَ تَسْلِيمَ مَمْلُوكٍ لِحَكِيمٍ ، فَكَانَتْ العَجَائِبُ تَجْرِي عَلَيْهِ ، وَلَا يُوجَدُ مِنْهُ تَغَيُّرٌ ، وَلَا مِنَ الطَّبْعِ تَأَفُّفٌ ، وَلَا يَقُولُ بِلِسَانِ الحَالِ : لَوْ كَانَ كَذَا ! ، بَلْ يَثْبُتُ لِلأَقْدَارِ ثُبُوتَ الجَبَلِ لِعَوَاصِفِ الرِّيَاحِ .

هَذَا سَيِّدُ الرُّسُلِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بُعِثَ إِلَىٰ الخَلْقِ وَحْدَهُ ، والكُفْرُ قَدْ مَلَأَ الآفَاقَ ، فَجَعَلَ يَفِرُّ مِنْ مَكَانٍ إِلَىٰ مَكَانٍ ، واسْتَتَرَ فِي دَارِ الخَيْزَرَانِ(١)، وَهُمْ يَضْرِبُونَهُ إِذَا خَرَجَ ، وَيُدْمُونَ عَقِبَهُ(٢) ، وَأُلْقِيَ(٣) السَّلَىٰ عَلَىٰ ظَهْرِهِ، وَهُوَ سَاكِتٌ سَاكِنٌ وَيَخْرُجُ كُلَّ مَوْسِمٍ فَيَقُولُ : « **مَنْ يُؤْوِينِي ؟!، مَنْ يَنْصُرُنِي ؟** » ... ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَىٰ العَوْدِ إِلَّا فِي جِوَارِ كَافِرٍ(٤) ، وَلَمْ يُوجَدْ مِنَ الطَّبْعِ تَأَفُّفٌ ، وَلَا مِنْ البَاطِنِ اعْتِرَاضٌ ، إِذْ لَوْ كَانَ غَيْرُهُ ، لَقَالَ : يَا رَبِّ ! أَنْتَ مَالِكُ الخَلْقِ ، وَقَادِرٌ عَلَىٰ النَّصْرِ ، فَلِمَ أُذَلُّ ؟!، كَمَا قَالَ عُمَرُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يَوْمَ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ : أَلَسْنَا عَلَىٰ الحَقِّ ؟!، فَلِمَ

---

(١) هِيَ دَارُ الأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الأَرْقَمِ، ثُمَّ تَمَلَّكَتْهَا الخَيْزَرَانُ زَوْجَةُ الخَلِيفَةِ العَبَّاسِي مُحَمَّدٍ المَهْدِيِّ وَأُمُّ ابْنَيْهِ مُوسَىٰ الهَادِي وَهَارُونَ الرَّشِيدِ، وَكَانَتْ حَازِمَةً مُتَفَقِّهَةً، تُوُفِّيَتْ سَنَةَ (١٧٣هـ).

(٢) رَوَاهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي السِّيـرَةِ (١/ ٢٦٠) ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقٍ .

(٣) فِي الأَصْلِ : وَشُقَّ .

(٤) هُوَ مُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ .



نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا ؟! ، وَلَمَّا قَالَ هَذَا ، قَالَ لَهُ الرَّسُولُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**إِنِّي عَبْدُ اللهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي**» (١) .

فَجَمَعَتْ الكَلِمَتَانِ الأَصْلَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرنَاهُمَا، فَقَوْلُهُ : «**إِنِّي عَبْدُ اللهِ**» إِقْرَارٌ بِالْمُلْكِ ، وَكَأَنَّهُ قَالَ : أَنَا مَمْلُوكٌ يَفْعَلُ بِي مَا يَشَاءُ،وَقَوْلُهُ « **وَلَنْ يُضَيِّعَنِي**» بَيَانُ حِكْمَتِهِ ، وَأَنَّهُ لاَ يَفْعَلُ شَيْئًا عَبَثًا ، ثُمَّ يُبْتَلَى بِالْجُوعِ فَيَشُدُّ الحَجَرَ (٢) ، ﴿ **وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** ﴾ [المُنَافِقُونَ :٧] . وَيُقْتَلُ أَصْحَابُهُ ، وَيُشَجُّ وَجْهُهُ ، وَتُكْسَرُ رُبَاعِيَّتُهُ (٣) ، وَيُمَثَّلُ بِعَمِّهِ (٤) ، ... وَهُوَ سَاكِتٌ ، ثُمَّ يُرْزَقُ ابْنًا ، وَيُسْلَبُ مِنْهُ (٥) ، فَيَتَعَلَّلُ (٦) ، بِالحَسَنِ والحُسَيْنِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - ، فَيُخْبَرُ بِمَا سَيَجْرِي عَلَيْهِمَا (٧) ، وَيَسْكُنُ بِالطَّبْعِ إِلَى عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- فَيُنَغَّصُ عَيْشُهُ بِقَذْفِهَا (٨) ، وَيُبَالِغُ فِي إِظْهَارِ المُعْجِزَاتِ ، فَيُقَامُ فِي وَجْهِهِ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣١٨٢)، ومُسْلِمٌ (١٧٨٥) ، عَنْ سَهْلِ بْنِ حَنِيْفٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- .

(٢) كَمَا فِي غَزْوَةِ الخَنْدَقِ ، رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤١٠١-٤١٠٢)، ومُسْلِمٌ (٢٠٣٩) ، عَنْ جَابِرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- .

(٣)رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٧٥)، ومُسْلِمٌ (١٧٩٠) ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- .

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٧٢) ، عَنْ وَحْشِيٍّ -رَضِي اللهُ عَنْهُ- .

(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٣٠٣)، عَنْ أَنَسٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- .

(٦) يَتَعَلَّلُ : يُسَلِّي نَفْسَهُ .

(٧) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧٠٤)، عَنْ الحَسَنِ-رَضِي اللهُ عَنْهُ- .

(٨) انْظُرْ : سُورَةَ النُّورِ الآيَاتِ (١١-٢٠) ، وَالبُخَارِيَّ (٤٧٥٠)، ومُسْلِمَ (٢٧٧٠) .



١٤٨

مُسَيْلِمَةُ [١] والعَنْسِي [٢] وابْنُ صَيَّادٍ [٣] ، وَيُقِيمُ نَامُوسَ الأَمَانَةِ والصِّدْقِ، فَيُقَالُ : كَذَّابٌ !! سَاحِرٌ !! .

ثُمَّ يُعَلِّقُهُ المَرَضُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلانِ ، وَهُو سَاكِنٌ سَاكِتٌ [٤] ، فَإِنْ أَخْبَرَ بِحالِهِ ، فَلِيُعَلِّمَ الصَّبْرَ ، ثُمَّ يَشْدُدُ عَلَيْهِ المَوْتُ ، فَيَسْلِبُ رَوْحَهُ الشَّرِيفَةَ ، وَهُوَ مُضْطَجِعٌ فِي كِسَاءٍ مُلَبَّدٍ ، وَإِزَارٍ غَلِيْظٍ ، وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ زَيْتٌ يُوْقَدُ بِهِ المِصْبَاحُ لَيْلَتَئِذٍ [٥] .

هَذَا الشَّيْءُ مَا قَدرَ عَلَىٰ الصَّبْرِ عَلَيْهِ كَمَا يَنْبَغِي نَبِيٌّ قَبْلَهُ ، وَلَوْ ابْتُلِيَتْ بِهِ المَلائِكَةُ ، مَا صَبَرَتْ .

هَذَا آدَمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ- تُبَاحُ لَهُ الجَنَّةُ سِوَىٰ شَجَرَةٍ ، فَلاَ يَقَعُ ذُبَابُ حِرْصِهِ [٦] إِلَّا عَلَىٰ العُقْرِ [٧]، وَنَبِيُّنَا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ فِي المُبَاحِ: **«مَا لِي وَلِلدُّنْيَا !! »** [٨] .

---

(١) مُسَيْلِمَةُ بْنُ حَبِيْبٍ الحَنَفِيُّ الكَذَّابُ، كَانَ مَقْتَلُهُ سِنَةَ (١٢ هـ)، انْظُرْ: بَقِيَّةَ شَأْنِهِ فِي «الفَصْلِ» (٣٠٩)

(٢) عَيْهَلَةُ بْنُ كَعْبٍ المَذْحَجِيُّ ، المَعْرُوفُ بِالأَسْوَدِ ، مُتَنَبِّئٌ مُشَعْوِذٌ ، كَانَ مَقْتَلُهُ سَنَة (١١ هـ)، انْظُرْ : تَتِمَّةَ خَبَرِهِ فِي «الفَصْلِ» (٣٠٩) .

(٣) مِنْ كَهَنَةِ يُهودِ المَدِيْنَةِ، خَبَرُهُ فِي البُخَارِيِّ (١٣٥٤-١٣٥٥)، ومُسْلِمَ (٢٩٣٠-٢٩٣١).

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٦٤٨)، ومُسْلِمٌ (٢٥٧١) ، عَنْ ابنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- .

(٥) لَمْ أَجِدْهُ .

(٦) ذُبَابُ حِرْصِهِ: شَبَّهَ الحِرْصَ بالسَّيْفِ ، وَذُبَابُهُ : رَأْسُهُ الَّذِي يَجْرَحُ ، فَكَأَنَّ الحِرْصَ يَنْكَأُ جُرحًا قَدِيْمًا ، أَوْ يَكُونَ قَصَدَ الذُّبَابَ المَعْرُوفَ الَّذِي يَقَعُ عَلَىٰ الجُرُوحِ فَيُفْسِدُهَا .

(٧) العُقْرُ : الجُرْحُ .

(٨) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٦١٣) عَنْ ابنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- .



١٤٩

هَذَا نُوحٌ - عَلَيْهِ السَّلَامُ- يَضِجُّ مِمَّا لَاقَىٰ ، فَيَصِيحُ مِنْ كَمَدٍ وَجْدَهُ : ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [نُوح:٢٦] ، وَنَبِيُّنَا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ : « **اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** »[١].

هَذَا الكَلِيْمُ مُوسَىٰ - عَلَيْهِ السَّلَامُ- يَسْتَغِيْثُ عِنْدَ عِبَادَةِ قَوْمِهِ العِجْلَ عَلَىٰ القَدَرِ قَائِلاً : ﴿ **إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ** ﴾ [الأَعْرَافُ:١٥٥] ، وَيُوَجِّهُ إِلَيْهِ مَلَكُ المَوْتِ فَيَقْلَعُ عَيْنَهُ[٢] .

هَذَا عِيْسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ- يَقُولُ : إِنْ صَرَفْتَ المَوْتَ عَنْ أَحَدٍ ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي ، وَنَبِيُّنَا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُخَيَّرُ بَيْنَ البَقَاءِ والمَوْتِ ، فَيَخْتَارُ الرَّاحِيْلَ إِلَىٰ الرَّفِيْقِ الأَعْلَىٰ[٣].

هَذَا سُلَيْمَانُ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- يَقُولُ : ﴿ وَهَبْ لِى مُلْكًا ﴾ [ص:٣٥] ، وَنَبِيُّنَا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَقُولُ : « **اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا** »[٤]، هَذَا واللهِ فِعْلُ رَجُلٍ عَرَفَ الوُجُودَ والمُوْجِدَ ، فَمَاتَتْ أَغْرَاضُهُ وَسَكَنَتْ اعْتِرَاضَاتُهُ ، فَصَارَ هَوَاهُ فِيْمَا يَجْرِي[٥].

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٩٢٩)،ومُسْلِمٌ (١٧٩٢)،عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٤٠٧)، ومُسْلِمٌ (٢٣٧٢) ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٩٠٤)،ومُسْلِمٌ (٢٣٨٢)،عَنْ أَبِي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٤٦٠)،ومُسْلِمٌ (١٠٥٥)،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.
(٥) «صَيْدُ الخَاطِرِ» (٣٠٧-٣٠٩) .




A

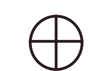






١٥٢

A










١٥٥



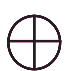




١٥٧



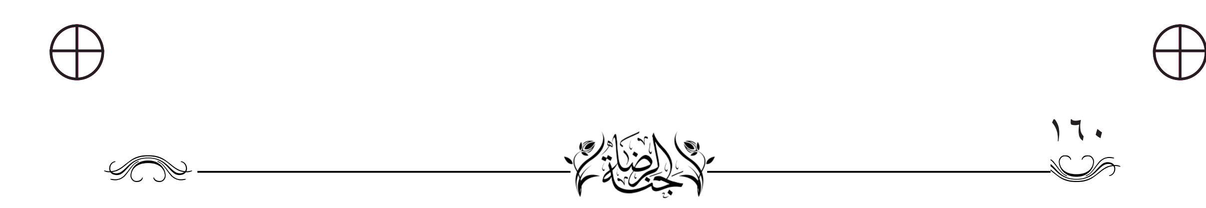








١٥٩



١٦٠